سلسلة فقه الدعوة وتزكية النفس (١)

الإخلاص

بقلم
حسين بن عودة العوايشة

دار ابن حزم

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى للطبعة الجديدة

١٤٢٣ هـ

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٧٠١٩٧٤

المقدّمة

إنَّ الحمْدَ لله، نحمَدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفِرُه، ونعوذُ بالله من شرور أنْفُسنا، وسيِّئات أعمالِنا، من يَهدِه الله فَلا مُضِلَّ لهُ، ومَن يُضْلل فلا هاديَ لهُ.

وأَشهَدُ أنْ لا إله إلا الله، وحدَه لا شريكَ له، وأَشْهَدُ أنَّ مُحمَّداً عَبدهُ ورَسولهُ.

﴿ يا أيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حقَّ تُقَاتِهِ ولاَ تَمُوتُنَّ إلا وأَنتُم مُسْلِمُونَ ﴾[1].

﴿ يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذي خَلَقَكُم مِنْ نفْسٍ وَاحدَةٍ وخَلَقَ منْهَا زَوْجَهَا وبَثَّ منْهُمَا رِجَالاً كَثيراً ونساءً واتَّقُوا اللهَ الَّذي تساءَلُونَ بِهِ والأَرْحَامَ إنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُم رَقِيباً ﴾[2].

---

(١) آل عمران: ١٠٢.

(٢) النساء: ١.

﴿ يا أيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَديداً يُصْلِح لَكُم أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُم ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾[1].

أمَّا بعد:

فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدْي هدْي محمّد، وشرّ الأمور مُحدثاتها، وكلَّ مُحدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النَّار.

فإنّ البشرية اليوم على وجه الأرض، على اختلاف الديانات والعقائد، وتعدد القناعات والرغبات والأهواء؛ يفعلون الأفعال، ويتصرفون التصرفات، اعتقاداً منهم أنها تُحقق سعادتهم، فمن بين مخطئ - وما أكثرهم - ومصيب - وما أقلهم - محقق لسعادة لحظية يعقبها شقاء طويل، وهم بذلك يستحقون الرثاء والحزن والبكاء عليهم، كيف الضلال والطريق واضح، وما هذا الاعوجاج والصراط مستقيم، فإنه لا حياة للقلوب ولا سعادة ولا استقرار إلا بالإخلاص لله - تعالى - ولكن يطيب لنا أن نقول لمن اجتهد

---

(١) الأحزاب: ٧٠ - ٧١.

للسعادة بغير الإخلاص بهذا القول الطيب:

إذا لم يكن من الله عون الفتى

فأول ما يجني عليه اجتهاده

وبقدر ما ينشغل العقل في إيجاد السعادة بغير الإخلاص لله ـ تعالى ـ بقدر ما يشقى صاحبه ويتعذب.

هل غاب عن الناس أن الإخلاص لله ـ تعالى ـ ينجي الأبدان والنفوس من كل عذاب؟ ليست هذه كلمات تقال بل إنها تجربة خاضها أفضل الناس وأشرفهم، خاضها الرسل والأنبياء ... خاضها الصحابة والتابعون، ففازوا وأفلحوا ونجحوا في الحياة الدنيا، وأما في الآخرة، فلم ترعين ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر.

لقد كانت الضرورة ـ فيما رأيت ـ ملحة لإخراج هذا الكتاب لتبيان فضل الإخلاص وصوره، وخطر الرياء وطرق معالجته، إلى غير ذلك مما وجدته نافعا.

وشأني في هذا الكتاب ـ كما هو في غيره ـ أن لا أروي إلا الصحيح الثابت ـ معتمداً على تخريج وتحقيق أهل الحديث له ـ لأحقق الغرض الذي من أجله فكرت في

التأليف.

وإنني لأتقدم بالشكر الجمّ لشيخي الفاضل محمد ناصر الدين الألباني ـ حفظه الله تعالى[1] ـ فإنه قدم لي ما طلبته منه من أحاديث تتعلق في موضوعنا، من تخريجه وتحقيقه «للترغيب والترهيب» للمنذري، حيث أن كتابه القيّم العظيم النفع «صحيح الترغيب والترهيب»، من جملة أعمال شيخنا العظيمة ـ نفعه الله تعالى بها يوم القيامة، وهذا الكتاب في طريقه للنشر إن شاء الله ـ تعالى[2] ـ.

كما أنني أتقدم بالشكر لكل إخواني الذين ساهموا في صدور هذا الكتاب وبمختلف المجهودات الطيبة، جزاهم الله خيراً.

نسأل الله ـ تعالى ـ أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه، وأن يحقق بهذا الكتاب نفعي يوم القيامة وأن يقيَني به يوماً عبوساً قمطريراً.

---

(١) وكان هذا في حياته، ثمّ وقعت مصيبة الموت؛ فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، فأسأل الله العظيم أن يجمعني به ووالديّ وأحبابي مع النّبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسُن أولئك رفيقاً.

(٢) وقد تمّ هذا بفضل الله ـ سبحانه ـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

ماذا يُشترط للعمل حتى يُقبل؟

قبل أن تخطو خطوة واحدة ـ أخي المسلم ـ عليك أن تعرف السبيل التي فيها نجاتك، فلا تتعب نفسك بكثرة الأعمال، فرب مُكثر من الأعمال لا يفيده إلا التعب منها في الدنيا والعذاب في الآخرة[1]، فلتعلم قبل كل شيء ماذا يشترط للأعمال حتى تقبل.

* لا بد من أمرين هامين عظيمين أن يتوفرا في كل عمل وإلا لا يقبل:

أولهما: أن يكون صاحبه قد قصَد به وجه الله ـ عز وجل ـ.

ثانيهما: أن يكون موافقاً لما شرعه الله ـ تعالى ـ في كتابه، أو بيّنه رسوله في سُنّته.

---

(١) ومن مِثل هذا قوله ﷺ: «رُبّ صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر». أخرجه ابن ماجه والنسائي من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ وغيرهما، وقال شيخنا ـ رحمه الله ـ في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٠٨٣): «حسن صحيح».

فإذا اختل واحد من هذين الشرطين لم يكن العمل صالحاً ولا مقبولاً ويدل على هذا قوله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ **فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً** ﴾[1]، فقد أمر ـ سبحانه ـ أن يكون العمل صالحاً أي: موافقاً للشرع، ثم أمر أن يخلص به صاحبه لله، لا يبتغي به سواه*[2].

قال الحافظ ابن كثير في « تفسيره »: « وهذان ركنا العمل المتقبل، لا بد أن يكون خالصا لله، صواباً على شريعة رسول الله ﷺ، وروي مثل هذا عن القاضي عياض ـ رحمه الله ـ وغيره ».

الأمر بالإخلاص والتحذير من الرياء والشرك:

اعلم ـ أخي المسلم ـ أنه لابد للأعمال من نية: قال رسول الله ﷺ: « إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما

---

(١) الكهف: ١١٠.

(٢) ما بين نجمتين من كتاب « التوسل أنواعه وأحكامه » بحوث كتبها وألقاها شيخنا الألباني وآلف بينها ونسقها الشيخ محمد عيد عباسي ـ حفظه الله تعالى ـ.

نوى»[1].

ولا بد من الإخلاص لله في النية لقوله ـ سبحانه وتعالى ـ:﴿ **وما أُمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيِّمة** ﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ **قل إنْ تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله** ﴾[3].

وقد حذر الله ـ تعالى ـ من الرياء فقال ـ سبحانه وتعالى ـ:﴿ **لئن أشركت ليحبطن عملك** ﴾[4] وكان ﷺ يقول عند تلبيته للحج: «اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة»[5].

وحذَّر منه رسول الله ﷺ تحذيراً شديداً، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول

---

(١) أخرجه البخاري: ١، ومسلم: ١٩٠٧.

(٢) البينة: ٥.

(٣) آل عمران: ٢٩.

(٤) الزمر: ٦٥.

(٥) أخرجه الضياء بسند صحيح، وانظر «المناسك» لشيخنا ـ رحمه الله ـ (ص١٦).

الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد، فأتي به فعرّفه نعمته فعرَفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال: جريء! فقد قيل، ثم أُمر فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلّمه وقرأ القرآن، فأُتي به فعرَّفه نعمه فعرَفها، قال: فما عملت؟ قال: تعلمتُ العلم وعلّمته، وقرأتُ فيك القرآن، قال: كذبت ولكنك تعلمتُ ليقال: عالم! وقرأت القرآن ليقال: قارئ! فقد قيل، ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار، ورجل وسّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأُتي به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت في سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال: جواد! فقد قيل، ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار»[1].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله ـ تعالى ـ: أنا أغنى الشركاء عن الشرك،

---

(١) أخرجه مسلم: ١٩٠٥.

من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»[1].

وقال رسول الله ﷺ: «من تعلّم علماً مما يبتَغى به وجه الله ـ عزّوجلّ ـ لا يتعلمه إلا ليصيب به عَرَضاً من الدنيا[2]، لم يجد عَرْف الجنة[3] يوم القيامة»[4].

تحذير من الشيطان وبيان مكائده:

إذا كان الأمر قد بلغ من الخطورة ما بلغ فلا شك أن المسلم الصادق يهمه الخلاص من الرياء ومبطلات الأعمال؛ وأول ما يجب التنبه له في هذا الأمر؛ هو معرفة أسباب هذا المرض الخطير، فلتعلم أن عدوك الشيطان لا يتوقف هو وجنده عن محاولة التسبب في إحباط أعمالك ووقوعك في الرياء. وانظر إلى التحذير من كيد الشيطان الذي جاء في الكتاب والسنة؛ فإنه خير شفاء لشر مرض.

---

(١) أخرجه مسلم: ٢٩٨٥.

(٢) أي من متاعها وحُطامها.

(٣) يعني: ريحها الطيبة والعَرف: الريح. «النهاية».

(٤) أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه وغيرهم، وصححه لغيره شيخنا ـ رحمه الله ـ في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٠٥).

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوّاً﴾[1].

وقال ـ سبحانه ـ: ﴿الشيطان يعدِكم الفقر ويأمركم بالفحشاء﴾[2].

وقال ـ سبحانه ـ: ﴿إنّ الشيطان للإنسان عدوٌّ مبين﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر﴾[4].

وقال تعالى: ﴿وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدّهم عن السبيل﴾[5].

وقال رسول الله ﷺ: «إنّ الشيطان يحضر أحدكم عند

---

(١) فاطر: ٦.

(٢) البقرة: ٢٦٨.

(٣) يوسف: ٥.

(٤) النور: ٢١.

(٥) النمل: ٢٤.

كل شيء من شأنه حتى يحضره عند طعامه، فإذا سقطت لقمة أحدكم فليأخذها؛ فليمط ما كان بها من أذى ثم ليأكلها ولا يدعها للشيطان، فإذا فرغ فليلعق أصابعه، فإنه لا يدري في أي طعامه البركة»[1].

والشاهد هنا: «إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه» فهو يحضر ليفسد النية والقول والعمل، فإن حسنت نيتك، دلك على عمل غير مشروعٍ تفعله بهذه النية الحسنة، وإنْ حسُن عملك أفسد عليك نيتك، وإن حسنت نيّتك أفسد عليك أسلوبك مع الناس؛ ليوقع العداوة والبغضاء بينك وبينهم ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

وقال ﷺ «ما منكم من أحد، إلا وقد وكِّل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة، قالوا: وإياك؟ قال: وإياي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير»[2].

وقال ﷺ: «ما منكم من أحد إلا ومعه شيطان. قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: وأنا، إلا أن الله أعانني عليه

---

(١) رواه مسلم: ٢٠٣٣.

(٢) أخرجه مسلم: ٢٨١٤.

فأسلم»[1].

وقال ﷺ: «إنّ إبليس يضع عرشه على الماء، ثمّ يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئاً. قال: ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال: فيدنيه منه ويقول: نِعْم أنت.

قال الأعمش: أراه قال: فيلتزمه»[2].

وقال ﷺ: «إنّ الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم»[3].

فكن من هذا العدو الرجيم على حذر، واعلم انه لا يقيل، لقوله ﷺ: «قيلوا، فإنّ الشياطين لا تقيل»[4]. ولا يمكن أن يذَرَك إن لم تستعن بالله عليه، وتراقب الله ـ تعالى ـ

---

(١) أخرجه مسلم: ٢٨١٥.

(٢) أخرجه مسلم: ٢٨١٣.

(٣) أخرجه البخاري: ٣٢٨١، ومسلم: ٢١٧٥.

(٤) أخرجه أبو نعيم في «الطب» وغيره، وانظر «الصحيحة» (١٦٤٧).

في أعمالك كلها.

التوسل بالإخلاص لله في الأعمال:

ولا يفوتني في هذا الباب أن أذكر لك من فوائد الإخلاص في الدنيا قبل الآخرة، فإنك تستطيع التوسل إلى الله بأعمالك التي أخلصت فيها له ـ سبحانه ـ لينقذك من كل كرب وشدة.

عن أبي عبدالرحمن بن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدّت عليهم الغار فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله ـ تعالى ـ بصالح أعمالكم قال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق[1] قبلهما أهلاً ولا مالاً فنأى بي طلب الشجر يوما فلم أُرِح[2] عليهما حتى ناما فحلبْتُ غبوقهما فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما

(١) أي: لا أقدّم قبلهما أهلاً ولا مالاً من رقيق وخادم.

(٢) أي: أرجع.

أهلاً أو مالاً، فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما؛ حتى برق الفجر[1] والصبية يتضاغَون[2] عند قدمي، فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إنْ كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرَجت شيئاً لا يستطيعون الخروج منه.

قال الآخر: اللهمّ إنه كانت لي ابنة عمّ؛ كانت أحبّ الناس إليَّ. وفي رواية: كنت أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء، فأردتها على نفسها[3] فامتنعت مني حتى ألمتَّ بها سَنةٌ من السنين[4] فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها؛ ففعلت، حتى إذا قدرتُ عليها.

وفي رواية: فلما قعدت بين رجليها، قالت: اتق الله ولا تفضّ الخاتم[5] إلا بحقه فانصرفت عنها وهي أحب الناس

---

(١) أي: ظهر ضوؤه.

(٢) يصيحون من الجوع والضّغاء: هو البكاء بصوت.

(٣) أي: الجماع.

(٤) أي: نزلت بها سنة من السنين الجدبة.

(٥) كناية عن فض الفرج وعذرة البكارة.

إلي، وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها.

وقال الثالث: اللهم استأجرت أجراء، وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد؛ ترك الذي له وذهب، فثمَّرت أجره حتى كثُرت منه الأموال فجاءني بعد حين فقال: يا عبد الله أدِّ لي أجري. فقلت: كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق. فقال: يا عبدالله لا تستهزئ بي. فقلت لا أستهزئ بك، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئاً. اللهم إنْ كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون»[1].

فانظر أخي كيف فرَّج الله ـ سبحانه وتعالى ـ الصخرة عن هؤلاء المكروبين؛ بصالح أعمالهم وإخلاصهم لله ـ تعالى ـ.

وما سبب الذل والهوان الذي تقع فيه البشرية وتتخبط به؛ إلا عدم الإخلاص لله ـ تعالى ـ فيا عبد الله! ألا يوجد لديك من صالح الأعمال؛ ما تتوسل فيه إلى الله ـ تعالى ـ

---

(١) أخرجه البخاري: ٢٢٧٢، ومسلم: ٢٧٤٣.

ليخلصك من كربك وشدتك!

نجاة يوسف بسبب الإخلاص:

وانظر إلى البلاء الذي وقع به يوسف ـ عليه السلام ـ إنه بلاء التعرض للزنا، ثم انظر كيف اشتدت الإغراءات به، وتجمّعت عليه، وأراد الشيطان أن يوقعه في الزنا فلم يفلح، فمن الإغراءات الملحة كونه شاباً يفيض بالحيوية والجنس وكان عزباً حسن الوجه.

قال رسول الله ﷺ: «أعطي يوسف شَطر الحُسن»[1]. فهذا يجعل داعي الإلحاح والإغراء من جانب امرأة الملك العزيز أشد وأقوى، وكذلك البعد عن رقابة الأهل والغرباء ممن قد يفضح أمره، ومع ذلك فقد ثبت ـ عليه السلام ـ ثباتاً شديداً بفضل الله ـ تعالى ـ وتوفيقه، ﴿**كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلَصين**﴾[2].

فبالإخلاص لله ـ تعالى ـ كانت نجاته ـ عليه السلام ـ فهل

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة وأحمد وغيرهما، وانظر «الصحيحة» (١٤٨١).

(٢) يوسف: ٢٤.

أنتم يا معشر الشباب معتبرون؟ وهل أنتن يا معشر الفتيات معتبرات؟ كم من الشباب والفتيات من لا يستطيع غض بصره ـ وما فوق ذلك ـ بسبب نقصان الإخلاص لله ـ تعالى ـ فحسبنا الله ونعم الوكيل.

الغلام المؤمن:

في هذه القصة ـ عبرة لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد ـ فلنتدبر هذه القصة، متلمّسين ما فيها من معان عظيمة في الإخلاص.

عن صهيب ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت فابعث إليّ غلاماً أُعلمه السحر، فبعث إليه غلاماً يعلّمه، وكان في طريقه إذا سلك راهب[1] فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه، وكان إذا أتى الساحر مرّ بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه، فشكا ذلك إلى الراهب فقال: إذا خشيت الساحر فقل حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر، فبينما هو على ذلك

---

(١) مُتعبد من النصارى ممن كانوا على الدين الصحيح.

إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجراً فقال: اللهمّ إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها، ومضى الناس، فأتى الراهب فأخبره. فقال له الراهب: أي بنيّ أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستبتلى، فإن ابتليت فلا تدل عليّ. وكان الغلام يبرىء الأكمه[1] والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء[2] فسمع جليسٌ للملك كان قد عمي، فأتاه بهدايا كثيرة فقال: ماها هنا لك أجمع، إن أنت شفيتني فقال: إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله فإن آمنتَ بالله دعوت الله فشفاك، فآمن بالله ـ تعالى ـ فشفاه الله ـ تعالى ـ فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من ردّ عليك بصرك؟ قال: ربي، قال: أو لك رب غيري؟ قال: ربي وربك الله. فأخَذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام، فجيء بالغلام فقال له الملك: أي بنيّ قد بلغ من سحرك ما تبرىء الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل. فقال: إني

---

(١) هو الذي ولد أعمى.

(٢) أي: الأمراض.

لا أشفي أحداً إنما يشفي الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى يدل على الراهب، فجيء بالراهب فقيل له: ارجع عن دينك فأبى، فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفْرِق رأسه[1] فشقه حتى وقع شقاه، ثمّ جيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه، ثمّ جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذروته[2] فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه. فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل، فسقطوا وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قُرقور[3] وتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه به، فقال: اللهم اكفينهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي إلى الملك، فقال الملك: إنك

---

(١) هو وسطه.

(٢) أعلاه.

(٣) القُرقور: السفينة العظيمة.

لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به. قال: ما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع[1] ثمّ خذ سهماً من كِنانتي[2] ثمّ ضع السهم في كبد القوس[3] ثمّ قل: بسم الله رب الغلام، ثمّ ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع، ثمّ أخذ سهماً من كنانته ثمّ وضع السهم في كبد القوس، ثمّ قال: بسم الله رب الغلام، ثمّ رماه فوقع السهم في صُدغه[4]، فوضع يده في صُدغه فمات، فقال الناس: آمنا برب الغلام، فأتى الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر، قد والله نزل بك حَذَرُك، قد آمن الناس فأمر بالأخدود[5] بأفواه السكك فخدت[6]، وأضرم فيها النيران وقال: من لم يرجع

---

(١) هو العود من أعواد النخل.

(٢) بيت السهام.

(٣) كبد القوس: وسطه.

(٤) الصُّدغ: ما بين العين إلى شحمة الأذن. «النهاية».

(٥) الشقوق.

(٦) أي: شقت.

عن دينه فأقحموه فيها[1] أو قيل له اقتحم، ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها تقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أُمّه اصبري فإنك على الحق»[2].

فانظر كيف كان الله يستجيب الدعوات المخلصة! وكيف كانت السنن الكونية تتبدل وتتغير بسبب الإخلاص لله ـ تعالى ـ! لقد وقع الغلام في خطر عظيم عندما أخذوه ليطرحوه. عن الجبل، فدعا الله بإخلاص شديد: «اللهم اكفنيهم بما شئت» فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي إلى الملك، لقد كان الإخلاص سبباً في نجاته من الموت واستطاع بفضل الله ـ سبحانه ـ أن يقتل بالإخلاص أعداء الله ـ تعالى ـ ثمّ أخذوه في السفينة ليتخلصوا منه ـ حيث إنهم رأوا الإخلاص سرَّ قُوته ـ أخذوه وتوسطوا به البحر فدعا الله بإخلاص العبد للرب: «اللهم اكفنيهم بما شئت» فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي إلى الملك.

هذا هو الإخلاص الذي مَنَّ الله به على هذا الغلام، نجّاه

---

(١) أي: ألقوه.

(٢) أخرجه مسلم: ٣٠٠٥.

من خطر عظيم، وقضى به على أعداء الله ـ تبارك وتعالى ـ.

ثمّ انظر كيف كان يشتد إخلاص ذلك الغلام فقد باع نفسه لله شهيداً، ضحى بنفسه من أجل أن تكون كلمة الإخلاص هي المقولة على الأرض وهي المعمول بها، من أجل أن يقول الناس: «آمنا برب الغلام».

لقد قال للملك: «إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به قال: ما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثمّ خذ سهماً من كنانتي ثمّ ضع السهم في كبد القوس ثمّ قل: بسم الله رب الغلام، ثم ارمني فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني».

وما هي نتيجة هذا الأخلاص؟ أجرٌ كبير ومنزلة عظيمة عند الله للغلام، وإيمان من الناس برب الغلام فما أن مات هذا الغلام، حتى قال النّاس: آمنا برب الغلام.

هذه هي ثمرة إخلاص الغلام، إيمان شعب بكامله .. إيماناً ثبتوا به على التحريق. وكان من ثمرات إخلاصه أيضاً، ما أنطق الله به ذلك الصبي الصغير، عندما تقاعست أمه أن تقع في النار: «يا أمه اصبري فإنك على الحق» ...

نطق هذا الصبي بالأمس، واليوم أفواه البشرية مقفلة لا تهمس بشيء - إلا من رحم الله وقليل ما هم - فهل من مدكر . . ؟

قصة إبراهيم وزوجه عند البيت :

وهيا بنا نرتع في جو من الإخلاص والإيمان، ونحن نقرأ قصة إبراهيم عليه السلام وزوجه، وذلك في حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : « جاء إبراهيم عليه السلام بأمّ إسماعيل وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت[1]، عند دوحة[2] فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء، فوضعهما هناك، ووضع عندهما جراباً فيه تمر، وسقاء فيه ماء، ثمّ قفّى[3] إبراهيم منطلقاً فتبعه أُمّ إسماعيل فقالت : يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء؟ فقالت له مراراً، وجعل لا يلتفت إليها. فقالت له : آلله أمرك بهذا؟ قال :

---

(١) أي : الكعبة.

(٢) الدوحة : هي الشجرة الكبيرة.

(٣) ولّى.

نعم. قالت: إذاً لا يضيّعنا. ثمّ رجعت فانطلق إبراهيم عليه السلام حتى إذا كان عند الثنيّة[1] حيث لا يرونه، استقبل بوجهه البيت ثمّ دعا بهؤلاء الدعوات، فرفع يديه فقال: ﴿**رب إني أسكنْت من ذريتي بواد غير ذي زرع**﴾ حتى بلغ: ﴿**يشكرون**﴾ وجعلَت أمّ إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر إليه يتلوى ـ أو قال يتلبّط[2] ـ فانطلقت كراهية أن تنظر إليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها فقامت عليه، ثمّ استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً، فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثمّ سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثمّ أتت المروة، فقامت عليها فنظرت هل ترى أحداً، فلم تر أحداً، ففعلت ذلك سبع مرات، قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما: قال النّبيّ صلى الله عليه وسلم: «فلذلك سعى الناس بينهما». فلما أشرفت المروة سمعت صوتاً فقالت: صه ـ تريد نفسها ـ

---

(١) هو الموضع الذي دخَل النّبيّ صلى الله عليه وسلم مكة منه.

(٢) أي: يتمرغ ويضرب بنفسه في الأرض.

ثمّ تسمّعت فسمعت أيضاً فقالت: قد أسمعتَ إن كان عندك غواث فأغث، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه ـ أو قال بجناحه ـ حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعدما تغرف، وفي رواية: «بقدر ما تغرف». قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: قال النّبيّ ﷺ: «رحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم ـ أو قال: لو لم تغرف من الماء ـ لكانت زمزم عينا معينا. قال: فشربت وأرضعت ولدها، فقال لها الملك: لا تخافوا الضيعة فإن ههنا بيتا لله يبنيه هذا الغلام وأبوه، وأن الله لا يضيع أهله»[1].

لقد كان من مظاهر الإخلاص عند إبراهيم امتثاله لأمر الله ـ تعالى ـ بوضع زوجه وابنه في أرض لا أنيس فيها ولا شيء، وهذا المظهر كذلك كان موجوداً في زوجه حين قالت أخيراً: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم؛ قالت: إذاً لا يضيعنا.

فهل ضيّعهم الله ـ تعالى ـ؟ لقد كان لإخلاص إبراهيم وزوجه أثر في اهتزاز كل قلب مؤمن أسلَم وجهه إلى الله، لقد فجّر الله ـ تعالى ـ بالإخلاص والتضحية زمزم، لا

(١) أخرجه البخاري: ٣٣٦٤.

لإسماعيل وأمه فحسب، ولكن لألوف الألوف من الناس على مر السنين.

وبالإخلاص لله ـ تعالى ـ فجرت زمزم ليشرب منها من أدى الحج أو العمرة من جميع أقطار الأرض.

زمزم التي قال فيها رسول الله ﷺ: «ماء زمزم لما شرب له»[1]، فمن شرب زمزم بنية أن يعلّمه الله علّمه الله ـ تعالى ـ ومن شرب بنية الثبات على الدين، ثبته الله ـ سبحانه وتعالى ـ ومن شربه بنية الشفاء من مرض شفاه الله، وقال ﷺ ـ أيضاً ـ: «إنها مباركة وهي طعام طُعم[2] وشفاء سُقم»[3]، وقال ـ عليه السلام ـ أيضاً: «خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم، فيه طعامٌ من الطعم وشفاءٌ من السقم»[4].

---

(١) أخرجه أحمد وابن ماجه وغيرهما، وصححه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «الإرواء» (١١٢٣).

(٢) أي: يشبع الإنسانُ إذا شرب ماءَها؛ كما يشبع من الطعام. «النهاية».

(٣) أخرجه الطيالسي وغيره، وانظر «الصحيحة» (٣/٤٦).

(٤) أخرجه الطبراني وغيره، وانظر «الصحيحة» (١٠٥٦).

من الإخلاص أن تعمل الصالحات مع خوف عذاب الآخرة:

قال الله ـ تعالى ـ في حق طائفة من الصالحين وهم الأبرار: ﴿ **ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيرا إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريرا فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقّاهم نضرة وسرورا** ﴾[1].

فهؤلاء لم يفعلوا الخير انتظار جزاء الناس وشُكرهم، ولم يكن منهم منٌّ بتقديم الطعام والشراب والعون، إنما صحب هذه الأعمال خوفٌ من الله ـ تعالى ـ: ﴿ **إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريرا** ﴾ فهم يطعمون الطعام وهم يخافون من ربهم يوم القيامة، ولم يكونوا شامخي النفوس، متعالين على من يقدمون لهم العون.

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «سألتُ رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿ **والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجِلة** ﴾ قالت عائشة: هم الذين يشربون الخمر ويسرفون؟

---

(١) الإنسان: ٨ ـ ١١.

قال: لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون أن لا يُقبَل منهم أولئك الذين يُسارعون في الخيرات»[1].

لماذا تُستجاب دعوة المظلوم والمضطر؟ وما معنى فرَّغ قلبه لله:

قال رسول الله ﷺ: «دعوة المظلوم مستجابة، وإن كان فاجراً، ففجوره على نفسه»[2].

وإذا تأملنا الأمر، وجدنا الداعي يخلص في دعوته، ويجمع قلبه في الدعاء، ولا يشغله شاغل عن الإلحاح في دعوته، لأنه يرى أنه لا بد من تحقيق استجابة دعائه، وقد بيّن رسول الله ﷺ سبب عدم استجابة الدعاء بقوله: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاهٍ»[3].

---

(١) أخرجه الترمذي والحاكم وغيرهما، وانظر «الصحيحة» (١٦٢).

(٢) أخرجه أحمد وابن أبي شيبة وغيرهما، وانظر «الصحيحة» (٧٦٧).

(٣) أخرجه الترمذي والحاكم وغيرهما، وانظر «الصحيحة» (٥٩٤).

فالقلب الغافل اللاهي لا يستجاب له دعاء، والمظلوم لا يلهو قلبه عن دعوته لضرورة الأمر، وكذلك المضطر فإن دعاءه مستجاب، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**أمن يجيب المضطر إذا دعاه**﴾[1].

فليس مع المضطر مجال ليشغل قلبه ويلهو بغير ما اضطر إليه، فهو مخلص أشدّ الإخلاص لحظة اضطراره.

ثمّ إن حديث مسلم يوضح لنا هذا الشغل الشاغل عن تحصيل الأفضل، عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من يصعد الثنية ثنية المرار[2] فإنه يحط عنه ما حط عن بني إسرائيل» وكان أول من صعدها خيلنا خيل بني الخزرج ثم تتام[3] الناس فقال رسول الله ﷺ: كلكم مغفور له إلا صاحب الجمل الأحمر[4] فأتيناه فقلنا: تعال يستغفر لك رسول الله ﷺ قال: لأن أجد ضالتي أحب إلي

---

(١) النمل: ٦٢.

(٢) موضع بين مكة والحديبية عن طريق المدينة.

(٣) تكامل.

(٤) وهو عبدالله بن أُبيّ رئيس المنافقين.

من أن يستغفر لي صاحبكم»[1].

فهو ها هنا شغل بالضالة عن المغفرة له والإخلاص لله ـ تعالى ـ ويحسُن بنا في هذا المقام أن نورد حديث رسول الله ﷺ ليزيدنا وضوحاً لهذا الأمر، وهو قوله ﷺ: «ما منكم من رجل يقرّب وضوءه، فيتمضمض، ويمج، ويستنشق، فينتثر إلا خرّت خطايا وجهه وفيه وخياشيمه، ثمّ إذا غسل وجهه كما أمَره الله إلا خرّت خطايا وجهه من أطراف لحيته مع الماء، ثمّ يغسل يديه إلى المرفقين، إلا خرّت خطايا يديه من أطراف أنامله مع الماء، ثمّ يمسح رأسه كما أمَره الله إلا خرّت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء، ثمّ يغسل قدميه إلى الكعبين كما أمَره الله، إلا خرّت خطايا رجليه من أطراف أنامله مع الماء، فإن هو قام فصلّى، فحمد الله وأثنى عليه ومجّده بالذي هو أهله، وفرّغ قلبه لله، إلا انصرف من خطيئته كهيئته يوم ولدته أمّه»[2].

فقوله ﷺ: «فرّغ قلبه لله» هو الشاهد هنا، وتفريغ

---

(١) أخرجه مسلم: ٢٨٨٠.

(٢) أخرجه مسلم: ٨٣٢.

القلب لله هو صرف الانشغال عما سواه، فكلاً من المضطر والمظلوم يفرغ قلبه لله ـ تعالى ـ عند الدعاء فيستجيب الله ـ تعالى ـ لهما الدعاء جزاء إخلاصهما، ثمّ إنه كان من دعاء إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ: ﴿**لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالّين**﴾[1]، ودعا نوح ـ عليه السلام ـ ربه: ﴿**إلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين**﴾[2].

فهذه أدعية لا بد من استجابتها وهي دعوات مضطر يترتب على عدم استجابتها ضلال وخسارة، وهذه الصيغ من الدعوات، تدل على تفريغ قلب صاحبها لله ـ تعالى ـ وعدم انشغاله بسواها، وجعل همّه استجابتها وتقديم ذلك على كل شيء، حتى إن الشيطان لما دعا الله ـ تعالى ـ بدعوة عَظُم الضلال فيها ﴿**قال ربي فأنظرني إلى يوم يبعثون**﴾[3] فإنه فرغ قلبه لله، وهي دعوة مضطر لم يبق له إلا هي، وماذا يبقى له سواها إذن بعد أن خسر كل شيء؟ وماذا كانت النتيجة؟

---

(١) الأنعام: ٧٧.

(٢) هود: ٤٧.

(٣) الحجر: ٣٦.

﴿ **قال فإنك من المنظَرين إلى يوم الوقت المعلوم** ﴾[1].

فكيف كان شكر الشيطان لربه على استجابة الدعاء؟!

﴿ **قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأُغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلَصين** ﴾[2]، فاستثنى الشيطان ـ نعوذ بالله منه ـ المخلصين لأنهم فرّغوا قلوبهم لله، فلم تكن المنكرات مزيَّنةً في نفوسهم.

من هنا نجد الداعي المظلوم والمضطر قد فرغا قلبهما لله ولا يزين في نفس أحدهما شيء يلهيه عن دعوته حتى يتحقق مراده ومن هنا نلحظ كذلك أن الثلاثة الذين خُلّفوا قد ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم، وهذا هو وصْف الله ـ تعالى ـ لهم.

قال ـ سبحانه ـ: ﴿ **وعلى الثلاثة الذين خُلّفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثمّ تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم** ﴾[3].

(١) الحجر: ٣٧ ـ ٣٨.

(٢) الحجر: ٣٩ ـ ٤٠.

(٣) التوبة: ١١٨.

فهؤلاء مضطرون بدعوتهم فهم قد فرّغوا قلوبهم من كل شيء سوى مرضاة الله، ولقد ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وضاقت عليهم أنفسهم، فلم يستطع الشيطان أن يزين لهم شيئاً لأنهم رأوا أن لا بد من رضوان الله عليهم، فتاب الله عليهم ـ سبحانه ـ.

ومن هنا نفهم حديث الرسول ﷺ: «إن الرجل لينصرف وما كتب له إلا عشر صلاته، تسعها، ثمنها، سبعها، وسدسها، خمسها، ربعها، ثلثها، نصفها»[1].

فبمقدار ما يفرغ قلبه لله ـ تعالى ـ يكتب له من الأجر في صلاته[2] وبمقدار ما يفرغ قلبه يتقبل الله منه، وكذلك الدعوات؛ تختلف فيها الاستجابة بحسب تفريغ القلوب لله ـ تعالى ـ وتشتد الاستجابة عند المظلوم والمضطر بسبب هذا

---

(١) أخرجه أبو داود وابن حبان في «صحيحه» وغيرهما، وحسّنه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٥٣٧).

(٢) ويطلب من المسلم أن يصلّي كما صلّى رسول الله ﷺ في الهيئات وسائر أعمال الصلاة كذلك، وعدم فعله ذلك ينقص من صلاته.

التفريغ القلبي الشديد لله ـ تعالى ـ.

وكيف كان وضع الغلام المؤمن عندما أُخذ ليلقى به من فوق الجبل! لقد فرغ قلبه لله بالدعاء فقال: «اللهم اكفنيهم بما شئت» ثمّ بم ينشغل عن الدعاء وهو يرى نفسه سيلقى به من فوق الجبل؟ من هنا يشتد إيمان من يفهم حديث رسول الله ﷺ: «الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك»[1]. فإنّ من رأى القرب من الجنة وأحسها بقلبه؛ فرّغ نفسه عما سواها لها ومن رأى النار قُرْبها بهذا القدر، فإنه لا ينشغل بشيء سوى البعد عنها، وهذا من الإخلاص لله ـ تعالى ـ.

ولنتدبر في هذا الموطن حديث رسول الله ﷺ: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد»[2].

فلو علم ما عند الله من العقوبة فإنه سيفرغ قلبه للنجاة

---

(١) أخرجه البخاري: ٦٤٨٨.

(٢) أخرجه مسلم: ٢٧٥٥.

من عذابها، ولن يطمع بالجنّة التي هي مراد كل عبد مؤمن، والله ـ تعالى ـ أعلم.

في مصاحبة أهل الإخلاص والانتفاع بإخلاصهم

تقدّم معنا حديث الثلاثة الذين كانوا في الغار، وتقدّم أيضاً كيف دعا أحدهم بصالح أعماله؛ فانفرج جزء من الصخرة، غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها، فانتفع الجميع بدعوة المخلص الواحد، ثمّ تكرر الدعاء من صاحبيه، وكل مرة ينفرج جزء من الصخرة، وكان الانتفاع يعم الثلاثة، حتى خرجوا من الغار.

فاحرص على مصاحبة أهل الإخلاص تنتفع ـ بفضل الله ـ بإخلاصهم ودعائهم.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النّبيّ ﷺ قال: «إن لله ـ تبارك وتعالى ـ ملائكة سيّارة[1] فُضُلاً[2] يَتَبَّعون مجالس الذكر، فإذا وجدوا مجلساً فيه ذِكر قعدوا معهم؛ وحفّ بعضهم بعضاً بأجنحتهم؛ حتى يملؤا ما بينهم وبين السماء

---

(١) سائحون في الأرض.

(٢) زيادة على الحفظة وغيرهم.

الدنيا، فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء، فيسألهم الله ـ عزّ وجلّ ـ وهو أعلم بهم: من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عباد لك في الأرض: يسبّحونك، ويهللونك، ويحمدونك، ويسألونك.

قال: وما يسألوني! قالوا: يسألونك جنتك. وقال: وهل رأوا جنتي! قالوا: لا أي رب. قال: فكيف لو رأوا جنتي! قالوا: ويستجيرونك. قال: ومم يستجيروني! قالوا: من نارك يا رب. قال: وهل رأوا ناري! قالوا: لا، قال: فكيف لو رأوا ناري! قالوا: ويستغفرونك؟ فيقول: قد غفرت لهم، فأعطيتهم ما سألوا، وأجرتهم مما استجاروا. قال: فيقولون: رب فيهم فلان عبد خطّاء إنما مرّ فجلس معهم، فيقول: وله غفرت، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم»[1].

فاحذر من البعد عن أهل الإخلاص وانظر إلى وصية رسول الله ﷺ لك من خلال هذا الحديث: «ما من ثلاثة في قرية، ولا بدو، لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان، فعليكم بالجماعة، فإنما يأكل الذئب من الغنم

---

(١) أخرجه البخاري: ٦٤٠٨، ومسلم: ٢٦٨٩ واللفظ له.

القاصية»[1].

وسيأتي ـ إن شاء الله تعالى ـ في علاج الرياء والاستبراء منه مصاحبة أهل الإخلاص.

من أنواع الرياء[2]

١ـ الرياء البدني: ويكون بإظهار النحول والصفار، ليرى العباد بذلك شدة الاجتهاد، وغلبة خوف الآخرة، ويقرب من هذا خفض الصوت وإغارة العينين، وإظهار ذبول الجسم؛ ليدل بذلك على أنه مواظب على الصوم.

٢ـ الرياء من جهة الزي: كإبقاء أثر السجود على الوجه وارتداء نوع معين من الزي؛ ترتديه طائفة يعدّهم الناس علماء، فيلبس هذا اللباس ليقال عالم.

٣ـ الرياء بالقول: وهو ـ على الغالب ـ رياء أهل الدين

---

(١) أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي وغيرهم، وقال شيخنا ـ رحمه الله ـ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٤٢٧): «حسن صحيح».

(٢) هذه الأنواع جميعاً نقلت من كتاب «مختصر منهاج القاصدين» بحذف وتصرف يسيرين (ص٢٢٣ ـ ٢٢٥).

بالوعظ والتذكير وحفظ الأخبار والآثار لأجل المحاورة، وإظهار غزارة العلم، وتحريك الشفتين بالذكر في محضر الناس، وإظهار الغضب للمنكرات بين الناس وخفض الصوت وترقيقه بقراءة القرآن، ليدل بذلك على الخوف والحزن والخشوع.

٤ـ الرياء بالعمل: كمراءاة المصلّي بطول القيام وتطويل الركوع والسجود وإظهار الخشوع، والمراءاة بالصوم والغزو والحج والصدقة ونحو ذلك.

٥ـ المراءاة بالأصحاب والزائرين: كالذي يتكلف أن يستزير عالماً أو عابداً ليقال: إن فلاناً قد زار فلانا. ودعوة الناس لزيارته كي يقال: إن أهل الدين يترددون عليه.

ما يتوهم أنه رياء وشرك وليس كذلك

١ـ حمد الناس للرجل على عمل الخير:

عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ قال: «قيل لرسول الله ﷺ أرأيت الرجل الذي يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه؟ قال: تلك عاجل بشرى المؤمن»[1].

(١) أخرجه مسلم: ٢٦٤٢.

٢ـ نشاط العبد بالعبادة عند رؤية العابدين:

قال المقدسي ـ رحمه الله تعالى ـ في «مختصر منهاج القاصدين» (ص٢٣٤): قد يبيت الرجل مع المتهجدين، فيصلّون أكثر الليل، وعادته قيام ساعة، فيوافقهم، أو يصومون فيصوم، ولولاهم ما انبعث هذا النشاط، فربما ظن ظانٌّ أن هذا رياء، وليس كذلك على الإطلاق، بل فيه تفصيل، وهو أن كل مؤمن يرغب في عبادة الله ـ تعالى ـ ولكن تعوقه العوائق وتستهويه الغفلة، فربما كانت مشاهدة الغير سبباً لزوال الغفلة، ثمّ قال: «ويختبر أمره بأن يمثل القوم في مكان يراهم ولا يرونه، فإن رأى نفسه تسخو بالتعبد فهو لله، وإن لم تسخ كان سخاؤها عندهم رياء، وقس على هذا».

قلت: كسل المرء عند انفراده آت من باب قوله ﷺ: «... فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية»[1] ونشاطه داخل من باب امتثاله لقوله ﷺ: «عليكم بالجماعة»[2].

(١، ٢) ونص الحديث: «ما من ثلاثة في قرية، ولا بدو، لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان، فعليكم بالجماعة، فإنما يأكل الذب من الغنم القاصية»، وقد تقدّم غير بعيد.

٣ـ تحسين وتجميل الثياب والنعل ونحوه:

عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ عن النّبيّ ﷺ أنه قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كِبر، فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا، ونعله حسنة؟ قال: إن الله جميل، يحب الجمال الكبر بطر[١] الحق وغمط الناس[٢]»[٣].

٤ـ عدم التحدث بالذنوب وكتمانها:

وهذا واجب شرعاً على كل مسلم ولا يجوز المجاهرة بالمعاصي لقوله ﷺ: «كل أُمتي معافى إلا المجاهرين؛ وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً؛ ثمّ يصبح وقد ستره الله عليه فيقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله»[٤].

والتحدث بالذنوب فيه مفاسد كثيرة ليس هذا موضع

---

(١) أي: دفعه وردّه.

(٢) أي: احتقارُهم.

(٣) أخرجه مسلم: ٩١.

(٤) أخرجه البخاري: ٦٠٦٩، ومسلم: ٢٩٩٠.

تفصيلها؛ منها التشجيع على ارتكاب المعاصي بين العباد، والا ستخفاف بأوامر الله ـ تعالى ـ.

ومن ظنّ أنّ كتمان ذلك رياء والتحدث بالذنوب إخلاص؛ فهو ممن قد لبّس عليه الشيطان، نعوذ بالله منه.

٥ـ اكتساب العبد الشهرة من غير طلبها:

قال المقدسي في «مختصر منهاج القاصدين» (ص٢١٨): «المذموم طلب الإنسان الشهرة وأمّا وجودها من جهة الله ـ تعالى ـ من غير طلب الإنسان فليس بمذموم، غير أن في وجودها فتنة على الضعفاء».

فضائل الإخلاص في الأعمال

١ـ الإخلاص في التوحيد:

قال ﷺ: «ما قال عبد لا إله إلا الله قط مخلصاً؛ إلا فتحت له أبواب السماء، حتى يفضي إلى العرش، ما اجتنبت الكبائر»[1].

---

(١) أخرجه الترمذي، وحسنه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٥٢٤).

وقال ﷺ: «ما من نفس تموت وهي تشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، يرجع ذلك إلى قلب مؤمن، إلا غفر الله له»[1].

وقال ﷺ: «إنّ الله قد حرّم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله»[2].

٢ـ الإخلاص في النية:

قال ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى»[3].

٣ـ الإخلاص في الصلاة:

قال ﷺ: «ما من مسلم يتوضأ، فيحسن الوضوء، ثمّ يقوم فيصلّي ركعتين، يقبل عليهما بقلبه ووجهه، إلا وجبت له الجنة»[4].

---

(١) أخرجه أحمد وابن ماجه وغيرهما، وانظر «الصحيحة» (٢٢٧٨).

(٢) أخرجه البخاري: ٤٢٥، ومسلم: ٣٣.

(٣) أخرجه البخاري: ١، ومسلم: ١٩٠٧، وتقدّم.

(٤) أخرجه مسلم: ٢٣٤.

وقال ﷺ: «ما منكم من رجل يقرّب وضوءه، فيتمضمض، ويمج، ويستنشق، فينتثر إلا خرّت خطايا وجهه وفيه وخياشيمه، ثمّ إذا غسل وجهه كما أمره الله إلا خرّت خطايا وجهه من أطراف لحيته مع الماء، ثمّ يغسل يديه إلى المرفقين، إلا خرّت خطايا يديه من أطراف أنامله مع الماء، ثمّ يمسح رأسه كما أمره الله؛ إلا خرّت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء، ثمّ يغسل قدميه إلى الكعبين كما أمَره الله، إلا خرّت خطايا رجليه من أطراف أنامله مع الماء، فإن هو قام فصلّى، فحمد الله وأثنى عليه ومجّده بالذي هو أهله، وفرّغ قلبه لله، إلا انصرف من خطيئته كهيئته يوم ولدته أمّه»[1].

٤ـ الإخلاص في السجود:

قال ﷺ: «ما من عبدٍ يسجد لله سجدة، إلا كتب الله له بها حسنة، وحطّ عنه بها سيئة ورفع له بها درجة، فاستكثروا من السجود»[2].

---

(١) أخرجه مسلم: ٨٣٢، وتقدّم.

(٢) أخرجه ابن ماجه، وصححه لغيره شيخنا ـ رحمه الله ـ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٨٦).

٥ـ الإخلاص في قيام رمضان:

قال ﷺ: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدّم من ذنبه»[١].

٦ـ الإخلاص في قيام ليلة القدر:

قال ﷺ: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدّم من ذنبه»[٢].

٧ـ الإخلاص في حب المسجد:

قال ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظله، إمام عدْل، وشابٌّ نشأ في عبادة الله ـ تعالى ـ ورجل قلبه معلّق في المساجد، ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها، حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»[٣].

---

(١) أخرجه البخاري: ٣٧، ومسلم: ٧٥٩.

(٢) أخرجه البخاري: ١٩٠١، ومسلم: ٧٦٠.

(٣) أخرجه البخاري: ١٤٢٣، ومسلم: ١٠٣١.

وقال ﷺ: «ما توطن رجل المساجد للصلاة والذكر إلا تبشبش الله ـ تعالى ـ إليه كما يتبشبش[1] أهل الغائب بغائبهم، إذا قدم عليهم»[2].

٨ـ الإخلاص في الخروج للصلاة:

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «صلاة أحدكم في جماعته تزيد على صلاته في سوقه وبيته بضعاً وعشرين درجة، وذلك بأنه إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثمّ أتى المسجد لا يريد إلا الصلاة لا ينهزه[3] إلا الصلاة، لم يخْطُ خطوة إلا رفع بها درجة، وحط عنه بها خطيئة، والملائكة تصلّي على أحدكم مادام في مصلاه الذي يُصلّي فيه يقولون: اللهم صلّ عليه، اللهم ارحمه، ما لم يحدث فيه، ما لم يؤذ فيه»[4].

---

(١) البَشُّ: فرح الصديق بالصديق ... والإقبال عليه. «النهاية».

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة وابن ماجه والحاكم وغيرهم، وصححه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٢٧).

(٣) أي: لا يدفعه ولا يحرّكه.

(٤) أخرجه البخاري: ٢١١٩، ومسلم: ٦٤٩.

٩ـ الإخلاص في الانتظار في المسجد: للحديث السابق.

١٠ـ الإخلاص في القول كما يقول المؤذن:

قال رسول الله ﷺ: «إذا قال المؤذن: الله أكبر الله أكبر، فقال أحدكم: الله أكبر الله أكبر، ثمّ قال: أشهد أن لا إله إلا الله، قال: أشهد أن لا إله إلا الله، ثمّ قال: أشهد أن محمداً رسول الله، قال: أشهد أن محمداً رسول الله، ثمّ قال: حي على الصلاة، قال: لا حول ولا قوّة إلا بالله، ثمّ قال: حي على الفلاح، قال: لا حول ولا قوّة إلا بالله، ثمّ قال: الله أكبر الله أكبر، قال: الله أكبر الله أكبر، ثمّ قال: لا إله إلا الله، من قلبه دخل الجنة»[١].

١١ـ الإخلاص في الصوم:

قال ﷺ: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً، غُفر له ما تقدّم من ذنبه»[٢].

---

(١) أخرجه مسلم: ٣٨٥.

(٢) أخرجه البخاري: ١٩٠١، ومسلم: ٧٦٠.

قال ﷺ: «من صام يوماً في سبيل الله بعّد الله وجهه عن النّار سبعين خريفاً»[1].

وقال ﷺ: «من صام يوماً في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار خندقاً، كما بين السماء والأرض»[2].

١٢ـ الإخلاص في الزكاة:

عن طلحة بن عبيدالله ـ رضي الله عنه ـ قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد ثائر الرأس[3] يُسمع دويُّ صوته ولا يُفقهُ ما يقول حتى دنا، فإذا هو يَسأل عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: خمس صلوات في اليوم والليلة، فقال: هل عليّ غيرها؟ قال: لا إلا أن تطوع، فقال رسول الله ﷺ: وصيام رمضان قال: هل عليّ غيره؟ قال: لا إلا أن تطوع قال: وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة قال: هل عليّ

---

(١) أخرجه البخاري: ٢٨٤٠، ومسلم: ١١٥٣.

(٢) أخرجه الترمذي وغيره، وقال شيخنا ـ رحمه الله ـ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٩٩١): «حسن صحيح»، وانظر «الصحيحة» (٥٦٣).

(٣) أي: منتشر شعر الرأس.

غيره؟ قال: لا إلا أن تطوع فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص، فقال رسول الله ﷺ: أفلح إن صدق»[1].

١٣ـ الإخلاص في الصدقة:

وذلك لما تقدّم في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظلّه، وفيهم: «ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه».

وقال ﷺ: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وصدقة السر تطفىء غضب الرب، وصِلَة الرحم تزيد في العمر»[2].

١٤ـ الإخلاص في الحج:

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنّ رسول الله ﷺ سئل أي العمل أفضل؟ فقال: إيمان بالله ورسوله، قيل: ثمّ ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله، قيل: ثمّ ماذا؟ قال: حجٌّ

---

(١) أخرجه البخاري: ٤٦، ومسلم: ١١.

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير»، وحسنه لغيره شيخنا ـ رحمه الله ـ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٨٨٩).

مبرور[1]»[2].

قال ﷺ: «من حج لله، فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أُمه»[3].

١٥ـ الإخلاص في طلب الشهادة:

عن سهل بن حنيف ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من سأل الله الشهادة بصدق، بلّغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه»[4].

١٦ـ الإخلاص في الرباط:

عن سلمان ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأُجري عليه رزقه، وأمِن الفتّان»[5].

---

(١) المبرور: هو الذي لا يرتكب صاحبه فيه معصية.

(٢) أخرجه البخاري: ٢٦، ومسلم: ٨٣.

(٣) أخرجه البخاري: ١٥٢١، ومسلم: ١٣٥٠.

(٤) أخرجه مسلم: ١٩٠٩.

(٥) أخرجه مسلم: ١٩١٣.

١٧ـ الإخلاص في تجهيز الغزاة:

عن زيد بن خالد ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من جهَّزَ غازياً في سبيل الله أو خلفه في أهله، كتب الله له مثل أجره حتى أنه لا ينقص من أجر الغازي شيء»[١].

١٨ـ الإخلاص في الجهاد:

قال ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله»[٢].

وقال ﷺ: «ما من مكلوم يُكلم في سبيل الله، إلا جاء يوم القيامة وكلمه يدمي، اللون لون دم، والريح ريح مِسك»[٣].

١٩ـ الإخلاص في التوبة:

عن عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول

---

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» وغيره، وصححه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٢٣٧).

(٢) أخرجه البخاري: ٢٨١٠، ومسلم: ١٩٠٤.

(٣) أخرجه البخاري: ٥٥٣٣، ومسلم: ١٨٧٦.

الله ﷺ: «إنّ الله يقبل توبة العبد ما لم يُغرْغِر[1]»[2].

قال ﷺ: «من تاب إلى الله قبل أن يغرغر، قَبِلَ الله منه»[3].

وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه أنّ نبي الله ﷺ قال: «كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً فسأل عن أعلم أهل الأرض؛ فدُلَّ على راهب، فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفساً، فهل من توبة؟ فقال: لا، فقتله، فكمّل به مائة، ثمّ سأل عن أعلم أهل الأرض فدُلَّ على رجل عالم فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا؛ فإن بها أُناساً يعبدون الله ـ تعالى ـ فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطَلق حتى إذا نصَف الطريق[4] أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة

---

(١) أي ما لم تبلُغ روحُه حلقومه، فيكون بمنزلة الشيء الذي يتغرغر به المريض. «النهاية».

(٢، ٣) أخرجه ابن ماجه والترمذي وغيرهما، وحسنه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٤٣).

(٤) أي: بلغ نصفها.

الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً مقبلاً إلى الله ـ تعالى ـ وقالت ملائكة العذاب، إنه لم يعمل خيراً قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي؛ فجعلوه بينهم ـ أي حكَماً ـ فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة»[1].

٢٠ـ الإخلاص في الاستغفار:

قال ﷺ: «سيد الاستغفار أن يقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شرّ من صنعت، أبوء[2] لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

قال: ومن قالها من النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة»[3].

---

(١) أخرجه البخاري: ٣٤٧٠، ومسلم: ٢٧٦٦ واللفظ له.

(٢) أي: أقرّ وأعترف.

(٣) أخرجه البخاري: ٦٣٠٦.

٢١ـ الإخلاص في البكاء:

وقد تقدّم الحديث: «سبعة يظلهم الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظلّه» وفيه: «ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه».

٢٢ـ الإخلاص في الذكر: للحديث السابق: «ورجل ذكَر الله خالياً ...».

٢٣ـ الإخلاص في الصدق:

قال ﷺ: «إنْ تصدق الله يصدقك»[١].

٢٤ـ الإخلاص في الصبر:

قال ﷺ: «يقول الله ـ تعالى ـ: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء؛ إذا قبضْتُ صفيه من أهل الدنيا ثمّ احتسبه إلا الجنة»[٢].

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «سألتُ رسول الله ﷺ عن الطاعون؛ فأخبَرني أنه عذابٌ يبعثه الله ـ تعالى ـ

---

(١) أخرجه النسائي والحاكم وغيرهما، وصحح إسناده شيخنا ـ رحمه الله ـ في «أحكام الجنائز» (ص٨١).

(٢) أخرجه البخاري: ٦٤٢٤.

على من يشاء، فجعله الله ـ تعالى ـ رحمة للمؤمنين، فليس من عبد يقع في الطاعون فيمكث في بلده صابراً محتسباً يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له، إلا كان مثل أجر شهيد»[1].

٢٥ـ الإخلاص في التوكل:

عن رسول الله ﷺ «أنه ذكر رجلاً من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار، فقال: ائتني بالشهداء أُشهدهم، فقال: كفى بالله شهيداً، قال: فأتني بالكفيل، قال: كفى بالله وكيلا، قال: صدقت، فدفعها إليه إلى أجل مسمى، فخرج في البحر فقضى حاجته، ثمّ التمس مركباً يركبها يقدم عليه للأجل الذي أجَّله، فلم يجد مركباً، فأخذ خشبة فنقرها فأدخل فيها ألف دينار، وصحيفة منه إلى صاحبه، ثمّ زجّجَ موضعها، ثمّ أتى بها إلى البحر، فقال: اللهم إنك تعلّم أني كنت تسلفت فلاناً ألف دينار، فسألني كفيلاً، فقلت: كفى بالله وكيلا، فرضي بك، وسألني شهيداً، فقلت: كفى بالله شهيداً، فرضي بك، وإني

---

(١) أخرجه البخاري: ٣٤٧٤.

جَهَدْتُ أن أجد مركباً أبعث إليه الذي له فلم أقدر وإني أستودعكها، فرمى بها إلى البحر، حتى ولجت فيه، ثمّ انصرف، وهو في ذلك يلتمس مركباً يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذي كان أسلفه، ينظر لعل مركباً قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التي فيها المال، فأخذها لأهله حطباً، فلما نشَرها وجد المال والصحيفة، ثمّ قدم الذي كان أسلفه، فأتى بالألف دينار، وقال: والله ما زلت جاهداً في طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركباً قبل الذي أتيت فيه، قال: هل كنت بعثت إلي بشيء؟ قال: أخبرك أني لم أجد مركباً قبل الذي جئت فيه، قال: فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت في الخشبة، فانصرف بالألف دينار راشداً»[1].

٢٦ـ الإخلاص في الحب:

قال ﷺ: «من سرّه أن يجد حلاوة الإيمان، فليحب المرء لا يحبه إلا لله ـ عزّ وجلّ ـ»[2].

---

(١) أخرجه البخاري: ٢٢٩١.

(٢) أخرجه أحمد والبزار وغيرهما، وانظر «الصحيحة» (٢٣٠٠).

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النّبيّ ﷺ قال: «إن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى، فأرصد الله له على مَدرَجته[1] ملكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أُريد أخاً لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تَربُّها[2]؟ قال: لا؟ غير أني أحببته في الله ـ عزّ وجلّ ـ قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه»[3].

٢٧ـ الإخلاص في الزيارة في الله: للحديث السابق.

٢٨ـ الإخلاص في طاعة الوالدين:

وذلك لما تقدّم في حديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة وهم في الغار، فدعوا الله بصالح أعمالهم، وكان مما قاله أحدهم: «اللهمّ كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق[4] قبلهما أهلاً ولا مالا، فلبثت ـ والقدح على يدي ـ

---

(١) هي الطريق، سُمّيت بذلك؛ لأنّ النّاس يدرجون عليها، أي: يمضون ويمشون. «شرح النووي».

(٢) تربُّها: أي: تقوم بإصلاحها، وتنهض إليه بسبب ذلك. «شرح النووي».

(٣) أخرجه مسلم: ٢٥٦٧.

(٤) أي: ما كنتُ أُقدّم عليهما أحداً في شُرب نصيبهما من =

أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، والصبية يتضاغَون عند قدمي، فاستيقظا فشربا غبوقهما. اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك؛ ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة».

٢٩ـ الإخلاص في ترك المنكر لله:

وذلك للحديث السابق كذلك؛ وذلك عندما قعد أحدهم بين رجلي ابنة عمه فقالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فانصرف عنها وهي أحب الناس إليه وقال: «اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه»، فانفرج جزء من الصخرة.

٣٠ـ الإخلاص في أداء الأجر:

للحديث السابق أيضاً وقول الثالث: «اللهم استأجرت أُجراء وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب، فثمّرت أجره حتى كثُرت منه الأموال، فجاءني بعد حين فقال: يا عبد الله أدّ إلي أجري فقلت: كل ما ترى من

= اللبن الذي يشربانه، والغَبوق: شُرب آخر النهار مقابل الصَّبوح. «النهاية».

أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق فقال: يا عبد الله لا تستهزىء بي. فقلت: لا أستهزيء بك، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئاً، اللهم إنْ كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون».

٣١ـ الإخلاص في النية ولو لم يعمل إذا لم يستطع ذلك:

عن سهل بن حنيف ـ رضي الله عنه ـ قال: قال ﷺ: «من سأل الله الشهادة بصدق، بلّغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه»[1].

٣٢ـ الإخلاص في الزهد:

عن معاذ بن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال ﷺ: «من ترك اللباس تواضعاً لله وهو يقدر عليه؛ دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق، حتى يُخَيِّر من أي حلل الإيمان شاء يلبسها»[2].

---

(١) أخرجه مسلم: ١٩٠٩، وتقدّم.

(٢) أخرجه الترمذي والحاكم وغيرهما، وانظر «الصحيحة» (٧١٨).

٣٣ـ الإخلاص في التواضع:

للحديث السابق وهو قوله ﷺ: «من ترك اللباس تواضعاً لله».

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ قال: «وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله»[١].

٣٤ـ الإخلاص في بناء المساجد:

عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال ﷺ: «من بنى لله مسجداً يذكر فيه، بنى الله له بيتاً في الجنة»[٢].

وعن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ قال: قال ﷺ: «من بنى مسجداً، يبتغي به وجه الله، بنى الله له مثله في الجنة»[٣].

٣٥ـ الإخلاص في زيارة مسجد الرسول ـ عليه الصلاة

---

(١) أخرجه مسلم: ٢٥١٨.

(٢) أخرجه ابن ماجه وابن حبان في «صحيحه»، وصححه لغيره شيخنا ـ رحمه الله ـ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٧٠).

(٣) أخرجه البخاري: ٤٥٠، ومسلم: ٥٣٣.

والسلام ـ للتعلم والتعليم:

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال ﷺ: «من جاء مسجدي هذا؛ لم يأته إلا لخير يتعلّمه أو يعلّمه؛ فهو بمنزلة المجاهدين في سبيل الله، ومن جاء لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره»[1].

٣٦ـ الإخلاص في تجهيز الغزاة:

عن زيد بن خالد قال: قال ﷺ: «من جهز غازياً في سبيل الله، فقد غزا، ومن خَلَف غازياً في سبيل الله في أهله بخير فقد غزا»[2].

عن زيد بن خالد ـ رضي الله عنه ـ قال: قال ﷺ: «من جهز غازياً في سبيل الله أو خَلَفَه في أهله؛ كتب الله له مثل أجره حتى إنه لا ينقصُ من أجر الغازي شيء»[3].

---

(١) أخرجه ابن ماجه والحاكم وغيرهما، وصححه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٨٧).

(٢) أخرجه البخاري: ٢٨٤٣، ومسلم: ١٨٩٥، وهذا لفظه.

(٣) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» وغيره، وصححه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٢٣٧)، وتقدّم.

٣٧ـ الإخلاص باتباع جنازة المسلم:

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنّ رسول الله ﷺ قال: «من اتبع جنازة مسلم إيماناً واحتساباً، وكان معه حتى يُصلّي عليها ويفرغ من دفنها، فإنه يرجع من الأجر بقيراطين كلُّ قيراط مثل أحد، ومن صلّى عليها ثمّ رجع قبل أن تُدفن فإنه يرجع بقيراط»[١].

٣٨ـ الإخلاص في إطعام الطعام:

قال ـ تعالى ـ في حق الأبرار المخلصين: ﴿**ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً**﴾[٢].

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «أهديت لرسول الله ﷺ شاة، قال: اقسميها، فكانت عائشة إذا رجعت الخادم تقول: ما قالوا؟ تقول الخادم: قالوا: بارك الله فيكم، فتقول عائشة: وفيهم بارك الله، نردّ عليهم مثل ما قالوا، ويبقى

---

(١) أخرجه البخاري: ٤٧، ومسلم: ٩٤٥.

(٢) الإنسان: ٨ ـ ٩.

أجرنا لنا»[1].

فإن من تمام إخلاص عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها لم تكن تنتظر شيئاً حتى الدعاء.

٣٩ـ الإخلاص في الدعاء:

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين**﴾[2].

قال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ في «تفسيره»: «قال ابن جرير: «(تضرعاً): تذللا واستكانة لطاعته (وخُفية): يقول: بخشوع قلوبكم وصحة اليقين بوحدانيته وربوبيته فيما بينكم وبينه لا جهارا ومراءاة».

وقال ﷺ: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافلٍ لاهٍ»[3].

---

(١) أخرجه النسائي وغيره، وانظر «الكلم الطيب» (٢٣٨) بتحقيق شيخنا ـ رحمه الله ـ.

(٢) الأعراف: ٥٥.

(٣) تقدّم تخريجه.

في علاج الرياء والاستبراء منه

١ـ معرفة عظمة الله ـ تعالى ـ وأسمائه وصفاته والإلمام بالتوحيد ما استطعت إلى ذلك سبيلاً:

اعلم ـ أخي المسلم ـ أن من أسباب الرياء هو تعظيم الناس ونقصان تعظيم الله ـ تعالى ـ في النفس، فمن أحسن أنواع العلاج لهذا الداء القاتل هو معرفتك لأنواع التوحيد، وهذا بحثه واسع، نورد طرفاً يسيراً منه، ذكرى وعبرة:

أ ـ إن الله ـ تعالى ـ وحده هو الذي ينفع ويضر متى شاء، فلتطرح من نفسك الاعتقاد الفاسد بأن الناس ينفعونك ويضرونك متى شاؤوا ومتى أرادوا، وإنما يدخل الشيطان عليك ليجعلك تزين العبادة أمام الناس لظنك قدرتهم على النفع والضرر، فانظر ماذا يقول رسول الله ﷺ وقد علَّم هذا الحديث لابن عباس غلاماً: «يا غلام إنّي أُعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أنّ الأمّة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك بشيء إلا قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا

بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفّت الصحف»[1].

ب ـ اعلم أن الله ـ تعالى ـ سميع بصير، يراك ويسمعك ويعلم ما تخفي وما تعلن، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿**ألم يعلم بأن الله يرى**﴾[3]. وقال ـ سبحانه ـ: ﴿**ألا يعلم من خلق**﴾[4]، وقال ـ سبحانه ـ: ﴿**أو ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين**﴾[5]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿**وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغرَ من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين**﴾[6].

---

(١) أخرجه أحمد والترمذي وغيرهما، وصححه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «تخريج كتاب السنة» (٣١٦).

(٢) الشورى: ١١.

(٣) العلق: ١٤.

(٤) تبارك: ١٤.

(٥) العنكبوت: ١٠.

(٦) يونس: ٦١.

فمالي أراك تراقب الناس ولا تراقب الله وهو ـ سبحانه ـ مطلع عليك! ألا يكفيك اطلاعه عليك ـ سبحانه ـ وهو يقول: ﴿أليس الله بكاف عبده﴾[1].

جـ ـ اعلم أنّ الله ـ سبحانه ـ عظيم، فليعظمه قلبك وفؤادك ولتتأمل عظمته ـ سبحانه ـ في خلقه، في طائفة من الأحاديث:

عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال ﷺ: «إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطّت[2] السماء، وحُقَّ لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع، إلا وملك واضع جبهته لله ـ تعالى ـ ساجداً، والله لو تعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً، وما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصُّعُدات[3] تجأرون[4] إلى الله»[5].

---

(١) الزمر: ٣٦.

(٢) الأطيط: صوت الرحل والقتب وشبههما، ومعناه أن كثرة من في السماء من الملائكة العابدين قد أثقلتها حتى أطت. قاله النووي ـ رحمه الله ـ في «رياض الصالحين».

(٣) أي: الطُّرُقات.

(٤) أي: تستغيثون.

(٥) أخرجه الترمذي وابن ماجه وغيرهما، وانظر «الصحيحة» (١٧٢٢).

وقال ﷺ: «ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلْقةٍ ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة»[1].

وعن جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ قال ﷺ: «أُذن لي أن أُحدث عن ملك من ملائكة الله ـ تعالى ـ من حملة العرش إنّ ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام»[2].

عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «البيت المعمور في السماء السابعة، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، ثمّ لا يعودون إليه حتى تقوم الساعة»[3].

وفي رواية ثابتة: «حيال[4] الكعبة»[5].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في كتاب «العرش» وابن حبان في «صحيحه» وغيرهما، وانظر «الصحيحة» (١٠٩).

(٢) أخرجه أبو داود والطبراني في «الأوسط»، وانظر «الصحيحة» (١٥١).

(٣) أخرجه أحمد والحاكم وغيرهما، وانظر «الصحيحة» (٤٧٧).

(٤) حياله: أي بإزائه. «اللسان».

(٥) «الصحيحة» (٤٧٧) أيضاً.

٢ـ معرفة ما في القبر[١] من عذاب ونعيم:

اعلم أن من أسباب الرياء والشرك؛ عدم اهتداء القلب للخشية من عذاب القبر والنار وأهوال ما بعد الموت، ولما كان مجال ذلك واسعاً رأيت ذكر القليل القليل من الكثير الكثير، سائلاً الله ـ تبارك وتعالى ـ أن يكون فيما أذكره عظة وعبرة، وإنني لأستند بهذا الرأي لقول الله ـ تعالى ـ: ﴿**فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً**﴾[٢]، فقد قرن ـ سبحانه وتعالى ـ التوفيق في العمل الصالح برجاء لقاء الله، فلا بد من معرفة ما يترتب على لقاء الله ـ تعالى ـ من نعيم وعذاب، وسعادة وشقاء، فإلى طائفة من هذا، وبالله ـ تعالى التوفيق ـ.

عن البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ قال: خرجنا مع النّبيّ ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر؛ ولمّا يُلحد[٣]، فجلس رسول الله ﷺ [مستقبل القبلة]،

---

(١) وتفصيل ذلك في كتابي «القبر عذابه ونعيمه».

(٢) الكهف: ١١٠.

(٣) أي: لم يوضع في لحده بعْدُ.

وجلسنا حوله، وكأنّ على رؤوسنا الطّير، وفي يده عودٌ ينكت[1] في الأرض، [فجعل ينظر إلى السماء، وينظر إلى الأرض، وجعل يرفع بصره ويخفضه، ثلاثاً]، فقال: استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثاً، [ثمّ قال: اللهم إنّي أعوذ بك من عذاب القبر] [ثلاثاً]، ثمّ قال: إنّ العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة؛ نزل إليه ملائكة من السماء، بيض الوجوه، كأنّ وجوههم الشمس، معهم كفنٌ من أكفان الجنة، وحَنُوطٌ[2] من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مَدَّ البصر، ثمّ يجيء ملك الموت -عليه السلام- حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيّتها النفس الطّيبة (وفي رواية: المطمئنة)! اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان.

قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السِّقَاءِ، فيأخذها (وفي رواية: حتى إذا خرجت روحه؛ صلّى عليه

---

(١) أي: يضرب بطرفه الأرض، وذلك فِعل المفكّر المهموم «عون» (١٣/٦٣).

(٢) بفتح المهملة: ما يُخلط من الطيب لأكفان الموتى وأجسامهم خاصّة. «النهاية».

كلُّ ملكٍ بين السماء والأرض، وكلّ ملك في السماء، وفتحت له أبواب السماء، ليس من أهلِ باب إلاّ وهم يدْعون الله أن يعرج بروحه من قبلهم)، فإذا أخذها؛ لم يدعوها في يده طرفة عين، حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحنوط، [فذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿**توفّته رُسُلنا وهم لا يفرِّطون**﴾، ويخرج منها كأطيب نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدت على وجه الأرض.

قال: فيصعدون بها؛ فلا يمرّون ـ يعني ـ بها على ملإٍ من الملائكة إلاّ قالوا: ما هذا الروح الطّيّب؟ افيقولون: فلان ابن فلان ـ بأحسن أسمائه التي كانوا يُسمُّونه بها في الدنيا ـ حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له، فيفتح لهم، فيشيّعه من كلّ سماء مُقرّبوها إلى السماء التي تليها، حتى يَنتهيَ به إلى السماء السابعة، فيقول الله ـ عزّ وجلّ ـ: اكتبوا كتاب عبدي في علّيّين، ﴿**وما أدراك ما عِلّيُّون كتاب مرقوم. يشهده المُقرّبون**﴾؛ فيكتب كتابه في علّيِّين، ثمّ يقال]: أعيدوه إلى الأرض؛ فإنّي [وعدتهم أنّي] منها خلقتهم وفيها أُعيدهم ومنها أُخرجهم تارةً

أخرى.

قال: فـ[يُردّ إلى الأرض، و] تُعاد روحه في جسده، [قال: فإنّه يسمع خفق نعال أصحابه إذا ولّوا عنه] [مدبرين].

فيأتيه ملكان [شديدا الانتهار]، فـ[ينتهرانه و] يُجلسانه، فيقولان له: من ربّك؟ فيقول: ربي الله. فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام. فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ. فيقولان له: ما عَمَلُك؟ فيقول: قرأت كتاب الله، فآمنت به وصدّقت، فينتهره فيقول: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيُّك؟ وهي آخر فتنة تعرض على المؤمن.

فذلك حين يقول الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿**يُثَبِّتُ اللهُ الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا**﴾، فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيّ محمد ﷺ، فينادي منادٍ في السماء: أنْ صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنّة، قال: فيأتيه من رَوْحِها وطِيبها، ويفسح له في قبره مدّ بصره.

قال: ويأتيه [وفي رواية: يُمَثَّلُ له] رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيّب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسُرُّك، [أبشر برضوانٍ من الله، وجنّاتٍ فيها نعيم مقيم]، هذا يومك الذي كُنت تُوعد، فيقول له: [وأنت ـ فبشّرك الله بخير] ـ من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير! فيقول: أنا عملك الصالح؛ [فوالله ما عَلِمْتُك إلا كنت سريعاً في طاعة الله، بطيئاً في معصية الله، فجزاك الله خيراً].

ثمّ يُفتح له باب من الجنة، وباب من النار، فيقال: هذا منزلك لو عصيت الله، أبدلك الله به هذا، فإذا رأى ما في الجنة قال: ربِّ! عجّل قيام الساعة؛ كيما أرجع إلى أهلي ومالي! [فيقال له: اسكن].

قال: وإنّ العبد الكافر (وفي رواية: الفاجر) إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة؛ نزل إليه من السماء ملائكة [غلاظ شداد]، سُود الوجوه، معهم المُسُوح[1] [من

---

(١) جمع مِسح: ثوب من الشعر غليظ.

النار]، فيجلسون منه مدّ البصر[1]، ثمّ يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة! أخرجي إلى سَخَطٍ من الله وغضب، قال: فتفرَّق في جسده، فينتزعها كما يُنتزع السَّفُّود[2] [الكثير الشُّعب] من الصّوف المبلول، [فتَقطَّعُ معها العروق والعصب]، [فيلعنه كلُّ ملك بين السماء والأرض، وكلُّ ملك في السماء، وتغلَق أبواب السماء، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله ألا تعرج روحه من قِبلهم]، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدَعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المُسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفةٍ وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرّون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟! فيقولون: فلان ابن فلان ـ بأقبح أسمائه التي كان يُسمّى بها في الدنيا، حتى يُنتَهى به إلى السماء الدنيا، فيُستفتح له، فلا يُفتح له، ثمّ قرأ رسول الله ﷺ: ﴿**لا تُفَتَّحُ لهم أبواب السماء ولا يدْخلون الجنة حتى يَلِجَ الجَمَلُ في**

---

(١) أي: منتهى بصره.

(٢) السُّفود: هو عود من حديد يُنظّم فيه اللحم ليُشوى. «الوسيط».

سمِّ الخياط[1] ﴾[2] فيقول الله ـ عزّ وجلّ ـ: اكتبوا كتابه في سِجين[3]؛ في الأرض السُّفلى، [ثمّ يقال: أعيدوا عبدي إلى الأرض؛ فإنّي وعدتهم أنّي منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أُخرجهم تارةً أخرى]، فتُطرح روحه [من السماء] طرحاً [حتى تقع في جسده] ثمّ قرأ: ﴿ **ومن يشرك بالله فكأنّما خرَّ من السماء فَتَخْطَفُهُ الطير أو تهوي به الريح في مكان سَحِيق** ﴾، فتعاد روحه في جسده، [قال: فإنّه

---

(١) قال الحسن البصري وغيره: « حتى يدخل البعير في خرق الإبرة. وكذا روى علي بن أبى طلحة والعوفي عن ابن عباس. وقال مجاهد وعكرمة عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إنّه كان يقرأُها ﴿ **يلج الجمل في سمّ الخياط** ﴾ بضم الجيم وتشديد الميم ـ الجُمّل ـ يعني: الحبل الغليظ في خرق الإبرة ». عن « تفسير ابن كثير » بحذف.

وهذا تعليق بالمستحيل؛ أي: أنهم لا يدخلون الجنة أبداً، وانظر ـ إن شئت ـ ما قاله البغوي في « تفسيره ».

(٢) الأعراف: ٤٠.

(٣) قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ في « تفسيره »: « والصحيح أنّ سجّيناً مأخوذ من السِّجن، وهو الضيق »، وقال في موطن آخر: « وهو يجمع الضيق والسفول ».

ليسمع خفق نعال أصحابه إذا ولّوا عنه].

ويأتيه ملكان [شديدا الانتهار، فينتهرانه و] يُجلسانه، فيقولان له: من ربُّك؟ [فيقول: هاهْ هاهْ[1]! لا أدري! فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاهْ هاهْ! لا أدري]! فيقولان: فما تقول في هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟ فلا يهتدي لاسمه، فيُقال: محمد! فيقول: هاه هاه! لا أدري! [سمعت الناس يقولون ذاك! قال: فيقال: [لا دَرَيْتَ]، ولا تلوت]، فينادي مُنادٍ من السماء: أنْ كذب، فأفرشوا له من النار، وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرّها وسَمُومها[2]، ويُضيَّق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه (وفي رواية: ويُمثل له) رجلٌ قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومُك الذي كنت توعد، فيقول: [وأنت فبشّرك الله بالشرِّ] من أنت؟ فوجهك

---

(١) جاء في «عون المعبود» (١٣/ ٦٥): «هاهْ هاهْ ـ بسكون الهاء فيهما بعد الألف ـ: كلمة يقولها المتحيّر الذي لا يقدر ـ من حَيرته للخوف أو لعدم الفصاحة ـ أن يستعمل لسانه في فيه».

(٢) الريح الحارّة.

الوجه يجيء بالشّر! فيقول: أنا عملك الخبيث؛ [فوالله ما علمت إلا كنت بطيئاً عن طاعة الله، سريعاً إلى معصية الله]، [فجزاك الله شرّاً! ثمّ يُقيّض له أعمى أصمُّ أبكم في يده مِرْزَبَة[1] لو ضُرِبَ بها جبل كان تراباً، فيضربه ضربة حتى يصير بها تراباً، ثمّ يعيده الله كما كان، فيضربه ضربة أخرى، فيصيح صيحة يسمعه كلّ شيء إلا الثقلين، ثمّ يفتح له باب من النار، ويُمهَّد من فُرُش النار]، فيقول: ربِّ! لا تُقم الساعة»[2].

٣ـ معرفتك للأحاديث التي تبين عذاب النار:

اعلم أخي المسلم أن هذا الباب واسع، وكلما ازدادت معرفة المسلم فيه، ازداد خوفه من ربه وإخلاصه له ـ سبحانه ـ ولكنّي سأذكر الشيء اليسير منه سائلاً الله ـ تبارك وتعالى ـ

---

(١) المِرزَبة ـ بالتخفيف ـ: المطرقة الكبيرة التي تكون للحّداد. «النهاية».

(٢) أخرجه أبو داود «صحيح سنن أبي داود» (٣٩٧٩)، والحاكم، والطيالسي، وأحمد وغيرهم، وانظر «أحكام الجنائز» (ص١٩٨).

أن ينفع به عباده:

قال ﷺ: «ما بين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع»[1].

وقال ﷺ: «ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحُد، وغلظ جلده مسيرة ثلاث»[2].

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «يرسل البكاء على أهل النار، فيبكون حتى تنقطع الدموع، ثمّ يبكون الدم حتى يصير في وجوههم كهيئة الأخدود؛ لو أرسلت فيه السفن لجرت»[3].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة»[4].

---

(١) أخرجه البخاري: ٦٥٥١، ومسلم: ٢٨٥٢.

(٢) أخرجه مسلم: ٢٨٥١.

(٣) أخرجه ابن ماجه وغيره، وانظر «الصحيحة» (١٦٧٩).

(٤) أخرجه البخاري: ٤٧٢٩، ومسلم: ٢٧٨٥.

وعن سمرة بن جندب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «منهم من تأخذه النار كعبيه، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه إلى حجزته[1] ومنهم من تأخذه إلى ترقوته[2]»[3].

وقال ﷺ: «يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب[4] عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم»[5].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: كنّا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وجبة[6] فقال النّبيّ ﷺ: تدرون ما هذا؟ قال: قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفاً، فهو يهوي في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها

---

(١) الحجزة: معقد الإزار تحت السرة.

(٢) هي العظم الذي عند ثغرة النحر.

(٣) أخرجه مسلم: ٢٨٤٥.

(٤) أي: ينزل ويغوص في الأرض.

(٥) أخرجه البخاري: ٦٥٣٢، ومسلم: ٢٨٦٣.

(٦) هي صوت السقطة.

فسمعتم وجبَتها»[1].

وعن عدي بن حاتم - رضي الله عنهما - قال: قال ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان: فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم من عمله، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم من عمله، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة»[2].

عن ابن عباس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أنّ قطرةً من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الأرض معايشهم، فكيف بمن يكون طعامه»[3].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النّبيّ ﷺ قال: «لمّا خلق الله الجنّة والنار، أرسل جبريل إلى الجنّة فقال: انظر إليها وإلى ما أعددتُ لأهلها فيها، قال: فجاء فنظر إليها وإلى ما أعدَّ الله لأهلها فيها، قال: فرجع إليه، قال: وعزّتك! لا

---

(١) أخرجه مسلم: ٢٨٤٤.

(٢) أخرجه البخاري: ٧٥١٢، ومسلم: ١٠١٦.

(٣) أخرجه أحمد والنسائي وابن ماجه وغيرهم، وصحح إسناده شيخنا - رحمه الله - في «المشكاة» (٥٦٨٣).

يسمع بها أحدٌ إلا دخلَها! فأمر بها فحُفَّت بالمكاره. فقال: ارجع إليها فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها. قال: فرجع إليها فإذا هي قد حُفَّت بالمكاره، فرجع إليه فقال: وعزَّتك لقد خفتُ أن لا يدخلها أحد! وقال: اذهب إلى النار فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فنظر إليها، فإذا هي يركب بعضها بعضاً، فرجع إليه فقال: وعزَّتك لا يسمع بها أحد فيدخلها، فأمر بها فحُفَّت بالشهوات، فقال: ارجع إليها، فرجع إليها، فقال: وعزَّتك! لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها»[1].

٤ـ معرفتك ـ ما استطعت ـ لما أعد الله ـ تعالى ـ للمتقين في الجنة:

إنّ من أسباب الرياء والشرك، الشعور باللذة والتنعم بإعجاب الناس ومدحهم وثنائهم، وتقديم ذلك على نعيم الجنة، نسأل الله العافية ـ وذلك تابع لعدم معرفة قيمة الجنة، ولذا رأيت من الضروري أن أذكر شيئاً من الأحاديث في

---

(١) أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي، وصححه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٦٦٩).

نعيم الجنة وما أعد الله للمتقين فيها، عسى أن ينفع الله ـ تعالى ـ بها.

عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة، كان حمْله ووضْعه وسنّه في ساعة واحدة، كما يشتهي»[1].

وقال ﷺ: «يدخل الجنة من أُمتي زمرة، وهم سبعون ألفا، تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر»[2].

وعن أنس عن النّبيّ ﷺ قال: «يُعطى المؤمن في الجنّة قُوّة كذا وكذا من الجماع، قيل: يا رسول الله! أوَ يُطيق ذلك؟ قال: يُعطى قوّة مائة»[3].

وقال ﷺ: «الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة»[4].

---

(١) أخرجه الترمذي «صحيح سنن الترمذي» (٢٠٧٧)، وصحح إسناده شيخنا ـ رحمه الله ـ في «المشكاة» (٥٦٤٨).

(٢) أخرجه البخاري: ٦٥٤٢، ومسلم: ٢١٦.

(٣) أخرجه الترمذي «صحيح سنن الترمذي» (٢٠٥٩)، وصحح إسناده شيخنا ـ رحمه الله ـ في «المشكاة» (٥٦٣٦).

(٤) أخرجه أحمد والترمذي وغيرهما، وحسنه لغيره شيخنا ـ رحمه الله ـ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٧١١).

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «إنّ في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض»[1].

وقال ﷺ: «طوبى شجرة في الجنّة، مسيرة مائة عام، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها»[2].

عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «يأكل أهل الجنة فيها ويشربون، ولا يتفوّطون، ولا يمتخطون، ولا يبولون، لكن طعامهم ذاك جُشاء كرشح المسك يُلهمون التسبيح والحمد، كما يُلهمون النفَّس»[3].

وقال ﷺ: «إن في الجنة لشجرة يسير الراكب الجواد[4]

---

(١) أخرجه البخاري: ٢٧٩٠.

(٢) أخرجه أحمد وابن حبان وغيرهما، وانظر «الصحيحة» (١٩٨٥).

(٣) أخرجه مسلم: ٢٨٣٥.

(٤) الجواد: الفرس، يقال: جاد الفرس إذا صار فائقاً. «فتح».

أو المضمّر[1] السريع مائة سنة وما يقطعها»[2].

وقال ﷺ: «إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها، وآخر أهل الجنة دخولاً؛ رجل يخرج من النار حبواً، فيقول الله: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملأى فيقول: اذهب فادخل الجنة، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها، أو إن لك مثل عشرة أمثال الدنيا، فيقول: تسخر منّي، أو تضحك مِنّي وأنت الملك، فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه وكان يقال: ذلك أدنى أهل الجنة منزلة»[3].

وقال ﷺ: «إنّ في الجنة لسوقاً[4] يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون

---

(١) تضمير الخيل: هو أن يظاهر عليها بالعلف حتى تسمن؛ ثمّ لا تُعلف إلا قوتاً لتخفّ عند الغزو أو السباق. «النهاية» ملتقطاً.

(٢) أخرجه البخاري: ٦٥٥٣، ومسلم: ٢٨٢٧.

(٣) أخرجه البخاري: ٦٥٧١، ومسلم: ١٨٦.

(٤) أي: مجتمعون فيه كما يجتمع الناس في الدنيا في أسواقها.

حسناً وجمالاً، فيرجعون إلى أهليهم، وقد ازدادوا حسناً وجمالاً فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً، فيقولون: وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً»[1].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النّبيّ ﷺ قال: «من يدخل الجنة ينْعَم ولا يبأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه»[2].

وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة ـ رضي الله عنهما ـ عن النّبيّ ﷺ قال: «يُنادي مُنادٍ أنّ لكم أن تصحُّوا فلا تسقموا أبداً، وإنْ لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإنّ لكم أن تشبُّوا فلا تهرموا أبداً، وإنّ لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً، فذلك قوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿**ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون**﴾»[3].

٥ـ تذكُّر الموت وقِصَر الأمل:

---

(١) أخرجه مسلم: ٢٨٣٣.

(٢) أخرجه مسلم: ٢٨٣٦.

(٣) أخرجه مسلم: ٢٨٣٧.

قال الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ **كل نفس ذائقة الموت وإنما توفَّون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأُدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور** ﴾[1].

وقال الله ـ تعالى ـ: ﴿ **وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت** ﴾[2].

وقال الله ـ تعالى ـ: ﴿ **حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون** ﴾[3].

وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: «أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «كن في الدنيا غريب أو عابر سبيل.

وكان ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك»[4].

---

(١) آل عمران: ١٨٥.

(٢) لقمان: ٣٤.

(٣) المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠.

(٤) أخرجه البخاري: ٦٤١٦.

٦ـ معرفة قيمة الدنيا وعدم بقائها:

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا﴾[١].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور﴾[٢].

عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أنّ النّبيّ ﷺ قال: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة»[٣].

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «يَتبعُ الميت ثلاثة؛ فيرجع اثنان ويبقى معه واحد، يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله، ويبقى عمله»[٤].

---

(١) الكهف: ٤٥.

(٢) فاطر: ٥.

(٣) أخرجه البخاري: ٣٧٩٥، ومسلم: ١٨٠٥.

(٤) أخرجه البخاري: ٦٥١٤، ومسلم: ٢٩٦٠.

وعنه ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة ثمّ يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط؟ هل مرَّ بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة فيُصبغ صبغة في الجنة فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط؟ هل مر بك شدّة قط؟ فيقول: لا والله يا ربّ ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدّة قط»[1].

فلتعلم إذن أنّ صبغة واحدة في النار، تنسيك كل تلذذك بالرياء وحبك ثناء الناس عليك.

وعن جابر ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ مرّ بالسوق داخلاً من بعض العالية والناس كنَفَتَه[2] فمر بجدي أسَكَّ[3] ميت فتناوله فأخذ بأذنه ثمّ قال: «أيكم يحب أن يكون هذا له بدرهم؟ فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء وما نصنع به؟ ثمّ قال: أتحبون أنه لكم؟ قالوا: والله لو كان حيا كان عيباً أنه أسك فكيف وهو ميت؟ فقال: «فو الله للدنيا أهون على

(١) أخرجه مسلم: ٢٨٠٧.

(٢) أي: عن جانبه.

(٣) صغير الأذن.

الله من هذا عليكم»[1].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»[2].

فإذا أردت أن تكون في سجن الدنيا وجنة الآخرة فاسجن نفسك عن الرياء وحب السمعة والشهرة.

عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شَربة ماء»[3].

٧ـ الدعاء:

وهذا العلاج من أقوى الوسائل للقضاء على الرياء والشرك، فلا تتوقف عن الدعاء ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، وتحرّ ـ ما استطعت ـ الساعات المستجابة مع مراعاة

---

(١) أخرجه مسلم: ٢٩٥٧.

(٢) أخرجه مسلم: ٢٩٥٦.

(٣) أخرجه الترمذي وغيره، وانظر «الصحيحة» (٩٤٣).

آداب الدعاء.

وقد علّمنا رسول الله ﷺ دعاء يذهب عنا كبار الشرك وصغاره.

عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك؛ فإنه أخفى من دبيب النّمل، فقال له من شاء الله أن يقول: وكيف نتّقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله!

قال: قولوا: اللهمّ إنّا نعوذُ بك من أنْ نشرك بك شيئاً نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه»[1].

٨ـ خوفك أن تكون فترة الرياء خاتمة عملك:

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّما يُبعث الناس على نياتهم»[2].

---

(١) أخرجه أحمد والطبراني، وحسنه لغيره شيخنا ـ رحمه الله ـ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٦).

(٢) أخرجه ابن ماجه، وصححه لغيره شيخنا ـ رحمه الله ـ في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٣).

وعن جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «يُبعث كل عبد على ما مات عليه»[1].

٩ـ الإكثار من أعمال الخير غير المشاهدة وعدم الإخبار عنها لغير ضرورة[2]:

مثل: قيام الليل، البكاء خالياً من خشية الله ـ تعالى ـ صوم النافلة، صدقة السر، الدعاء للإخوة في الله بظهر الغيب، صلاتك لما سوى الفرائض في البيت.

١٠ـ مصاحبة من ترى فيهم الإخلاص والصلاح والتقوى:

عن أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَل الجليس الصالح والجليس السوء، كمثَل صاحب

---

(١) أخرجه مسلم: ٢٨٧٨.

(٢) ومن الأمثلة على ضرورة الإخبار، أنه من دعي لطعام وكان صائماً فإنه أُمر أن يقول: إني صائم، يوضح ذلك ما أخرجه مسلم (١١٥٠) عن زهير بن حرب أنّ رسول الله ﷺ قال: «إذا دعي أحدكم إلى طعام وهو صائم، فليقل: إني صائم».

المسك وكِيرِ[1] الحدّاد، لا يعدَمُك من صاحب المسك، إما أن تشتريه، أو تجدُ ريحه، وكير الحداد، يحرق بيتك أو ثوبك، أو تجد منه ريحاً خبيثة»[2].

فالمخلص لا يعدمك من إخلاصه شيء، والمرائي والمشرك إما يحرقك في نار جهنّم يوم القيامة، أو تجد منه ريح الرياء النتنة التي تزيدك حباً وولعاً بالرياء والشرك أعاذنا الله منه.

١١ـ الخوف من الرياء:

قال ـ تعالى ـ في حق طائفة من عباده الصالحين: ﴿ **وأقبَل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا إنا كنّا قبل في أهلنا مشفقين فمَنَّ الله علينا ووقانا عذاب السَّموم إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم** ﴾[3] فالخوف من المعاصي هو الذي نفعهم بتوفيق الله ـ تعالى ـ والذي يخشى الشيء يظل حذراً منه فينجو، أما من يأمن ذلك؛ فإنه يقع فيه،

---

(١) الكير بالكسر: هو المبنيُّ من الطين. وقيل: الزِّقّ الذي ينفخ به النار. «النهاية».

(٢) أخرجه البخاري: ٢١٠١، ومسلم: ٢٦٢٨.

(٣) الطور: ٢٥ ـ ٢٨.

لذلك كان نبينا محمد ﷺ ـ يخشى الشرك فقد كان أكثر دعائه ـ عليه الصلاة والسلام ـ: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك.

فعن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «كان أكثر دعائه ﷺ: «يا مقلب القلوب ثبِّت قلبي على دينك»[1].

١٢ـ الفرار من ذم الله:

ومن أسرار الرياء الفرار من ألم ذم الخلق والعباد، فهل أنت صادق في الفرار من الذم؟ ففرّ إذن من ذم الله لك، فإنك إنْ أرضيت الناس بغضبه؛ كرهك وغضب عليك، آلناس تخشى غضبهم؟ فالله أحق أن تخشى غضبه، وأيهما تقدّم، خوفك ذم الناس؟ أم خوفك ذم الله؟ وانظر قول الله ـ تعالى ـ: ﴿**أفمن يخلق كمن لا يخلق**﴾[2] ثمّ اختر ما تشاء وحسابك على الله ـ تعالى ـ.

١٣ـ حبك أن يذكرك الله ـ تعالى ـ وتقديم ذلك على

---

(١) أخرجه الترمذي وأحمد وغيرهما، وانظر «الصحيحة» (٢٠٩١).

(٢) النحل: ١٧.

حب ذِكر الخلق لك:

قال ـ سبحانه ـ: ﴿**فاذكروني أذكركم**﴾[1].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنّ رسول الله ﷺ قال: «يقول الله ـ تعالى ـ: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكَرني، فإنْ ذكَرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم وإن تقرّب إليّ شبراً، تقرّبت إليه ذراعاً، وإن تقرّب إليّ ذراعاً، تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة»[2].

ألا يسرك أن يذكرك الله ـ تعالى ـ عند ملأ أفضل من الملأ الذين يحيون على الأرض؟ أم هل فضلت ذِكر الناس على ذِكر الله، وفضلت الناس على الملائكة؟

١٤ـ معرفة ما ينفر منه الشيطان:

إن الشيطان منبع الرياء والشرك، والشر من نشاطه ـ نعوذ بالله منه ـ وقد تقدّم معنا حضوره في كل شيء من شأننا، وإرساله السرايا.

---

(١) البقرة: ١٥٢.

(٢) أخرجه البخاري: ٧٤٠٥، ومسلم: ٢٦٧٥.

فيما ينفر منه الشيطان

١ـ عند قولك: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرّة:

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنّ رسول الله ﷺ قال: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كلّ شيء قدير، في يوم مائة مرّة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومُحيَتْ عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر من ذلك»[1].

٢ـ قراءة آية الكرسي عندما تأوي إلى الفراش.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان؛ فأتاني آتٍ فجعل يحثو من الطعام، فأخذته فقلت: لأرفعنّك إلى رسول الله ﷺ ـ فذكر الحديث فقال: ـ إذا أوَيت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي، لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربُك شيطان حتى تُصبح،

(١) أخرجه البخاري: ٣٢٩٣، ومسلم: ٢٦٩١.

فقال النّبيّ ﷺ: صدقك وهو كذوب، ذاك شيطان»[1].

٣ـ إذا رأى ما يكرهه ونفث عن يساره ثلاث مرات وتعوذ بالله من شر ما رأى.

عن أبي قتادة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت النّبيّ ﷺ يقول: «الرُّؤيا من الله، والحلم من الشيطان، فإذا رأى أحدكم شيئاً يكرهه فلينفث حين يستيقظ ثلاث مرات، ويتعوّذ من شرّها، فإنها لا تضرُّه.

وقال أبو سلمة: فإن كنت لأرى الرؤيا أثقل عليّ من الجبل، فما هو إلا أن سمعتُ هذا الحديث فما أبالها»[2].

وعنه ـ رضي الله عنه ـ أيضاً قال: «لقد كنتُ أرى الرؤيا فتُمرضني حتى سمعت أبا قتادة يقول: وأنا كنتُ أرى الرؤيا تمرضني؛ حتى سمعت النّبيّ ﷺ يقول: الرؤيا الحسنة من الله، فإذا رأى أحدكم ما يحبُّ فلا يُحدّث به إلا من يحب، وإذا رأى ما يكره فليتعوذّ بالله من شرّها ومن شرّ الشيطان، وليتفل ثلاثاً ولا يُحدّث بها أحداً، فإنها لن

---

(١) أخرجه البخاري: ٣٢٧٥.

(٢) أخرجه البخاري: ٥٧٤٧، ومسلم: ٢٢٦١.

تضرّه»[1].

٤ـ عند الخروج من البيت وقولك: «بسم الله، توكلّت على الله، لا حول ولا قوّة إلا بالله».

عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال إذا خرج من بيته: بسم الله، توكلت على الله، لا حول ولا قوّة إلا بالله ـ تعالى ـ يقال له: كفيت، ووقيت، وهديت وتنحّى عنه الشيطان، فيقول لشيطان آخر: كيف لك برجل قد هدي وكفي ووقي»[2].

٥ـ ذكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ عند دخولك المنزل وعند الطعام.

عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت النّبيّ ﷺ يقول: «إذا دخل الرجل بيته، فذكر الله ـ تعالى ـ عند دخوله، وعند طعامه، قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله ـ تعالى ـ عند دخوله قال الشيطان:

---

(١) أخرجه البخاري: ٧٠٤٤، ومسلم: ٢٢٦١.

(٢) أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم، وصححه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «الكلم الطيب» (٥٨).

أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله ـ تعالى ـ عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء»[1].

٦ـ عند دخولك المسجد وقولك: «أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وبسلطانه القديم من الشيطان الرجيم».

عن عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عن النّبيّ ﷺ أنه كان إذا دخل المسجد قال: «أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وبسلطانه القديم من الشيطان الرجيم، قال: فإذا قال ذلك، قال الشيطان: حُفظ مني سائر اليوم»[2].

٧ـ عند النداء بالصلاة:

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا نودي بالصلاة أدبر الشيطان وله ضُراط حتى لا يسمع، فإذا قضي الأذان أقبل، فإذا ثُوِّب[3] بها أدبر، فإذا قُضي التثويب أقبل حتى يَخْطُرَ بين المرء ونفسه يقول: اذكر كذا

---

(١) أخرجه مسلم: ٢٠١٨.

(٢) أخرجه أبو داود «صحيح سنن أبي داود» (٤٨٥)، وصحح إسناده شيخنا ـ رحمه الله ـ في «الكلم الطيب» (٦٥).

(٣) التثويب: إقامة الصلاة. «النهاية».

وكذا ـ ما لم يكن يذكر ـ حتى يظلّ الرجل إن يدري كم صلّى، فإذا لم يدرِ أحدكم كم صلّى ـ ثلاثاً أو أربعاً ـ فليسجد سجدتين وهو جالس»[1].

٨ـ عند الاستعاذة منه:

لقول الله ـ سبحانه ـ: ﴿**وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم**﴾[2].

٩ـ عند قولك في الصلاة: «أعوذ بالله منك، ألعنك بلعنة الله ثلاثاً».

لما رواه أبو الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال: قام رسول الله ﷺ فسمعناه يقول: «أعوذ بالله منك، ثمّ قال: ألعنك بلعنة الله ثلاثاً وبسط يده كأنه يتناول شيئاً، فلما فرغ من الصلاة قلنا: يا رسول الله قد: سمعناك تقول في الصلاة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذلك، ورأيناك بسطت يدك، قال: إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار؛ ليجعله في وجهي فقلت: أعوذ بالله منك، ثلاث مرات، ثمّ قلت: ألعنك بلعنة

---

(١) أخرجه البخاري: ١٢٣١، ومسلم: ٣٨٩.

(٢) فصلت: ٣٦.

الله التامّة فلم يستأخر ثلاث مرات، ثمّ أردت أخذه، والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقاً يلعب به وِلدان أهل المدينة»[1].

وفي حديث آخر عن عثمان بن أبي العاص قلت: «يا رسول الله إن الشيطان حال بيني وبين صلاتي قراءتي يلْبسها عليّ؟ فقال ﷺ: ذاك شيطان يقال له: خِنْزَب، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل على يسارك ثلاثاً، قال: ففعَلت ذلك فأذهبه الله عني»[2].

١٠ـ إذا وجد العبد في نفسه شيئاً وقال: «هو الأول والآخر، والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم».

عن أبي زميل قلت لابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ما شيء أجده في نفسي ـ يعني شيئاً من شك ـ فقال لي: «إذا وجدت في نفسك شيئاً من ذلك فقل: (وذكره)»[3].

---

(١) أخرجه مسلم: ٥٤٢.

(٢) أخرجه مسلم: ٢٢٠٣.

(٣) أخرجه أبو داود، وحسن إسناده ـ شيخنا ـ رحمه الله ـ في «الكلم الطيب» (١٣٥).

١١ـ عند وقوع المصيبة بك وقولك: قدر الله وما شاء فعل، لما رواه أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله، ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قَدَرُ اللهِ وما شاء الله فعل فإنّ (لو) تفتح عمل الشيطان»[1].

١٢ـ قولك عند الجماع: «بسم الله اللهم جنّبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا».

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عن النّبيّ ﷺ قال: «لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فقضي بينهما ولد لم يَضُرَّه»[2].

١٣ـ عند قولك في حالة الغضب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

---

(١) أخرجه مسلم: ٢٦٦٤.

(٢) أخرجه البخاري: ١٤١، ومسلم: ١٤٣٤.

عن سليمان بن صُرَد قال: كنت جالساً مع النّبيّ ﷺ ورجلان يستبّان، فأحدهما قد احمرّ وجهه، وانتفخت أوداجه، فقال النّبيّ ﷺ: «إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان، ذهب عنه ما يجد»[1].

١٤ـ عند قولك: بسم الله.

عن أبي المليح عن أبيه ـ رضي الله عنه ـ قال: «كنت رديف النّبيّ ﷺ فعثر بعيرنا، فقلت: تَعِس الشيطان، فقال لي النّبيّ ﷺ: لا تقل تَعِس الشيطان؛ فإنه يعظُم حتى يصير مثل البيت، ويقول: بقوتي، ولكن قُل: بسم الله؛ فإنه يصغر حتى يصير مثل الذُّباب»[2].

١٥ـ عند دعائك بالبركة لما يعجبك.

لما ثبت عن النّبيّ ﷺ أنه قال: «إذا رأى أحدكم ما

---

(١) أخرجه البخاري: ٣٢٨٢، ومسلم: ٢٦١٠.

(٢) أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي في «اليوم والليلة» والطبراني والحاكم، وصححه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٢٨).

يعجبه في نفسه أو ماله، فليبرِّك عليه فإن العين حق»[1].

١٦ـ عند قرائتك المعوذتين: فعن أبي سعيد ـ رضي الله عنه ـ قال: «كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الجان، وعين الإنسان حتى نزلت المعوذتان، فلما نزلت أخذ بهما وترك ما سواهما»[2].

١٧ـ عند سجود التلاوة:

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد، اعتزل الشيطان يبكي يقول: يا ويله أُمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فأبَيْتُ فلي النار»[3].

١٨ـ عند قراءتك سورة البقرة:

---

(١) أخرجه ابن السني وأحمد والحاكم مختصراً، وصححه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «الكلم الطيب» (٢٤٣).

(٢) أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجه، وصحح إسناده شيخنا ـ رحمه الله ـ في «المشكاة» (٤٥٦٣)، وانظر «الكلم الطيب» (٢٤٦).

(٣) أخرجه مسلم: ٨١.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنّ رسول الله ﷺ قال: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة»[1].

١٩ـ عند قراءة القرآن:

خرج رسول الله ﷺ ليلة فإذا هو بأبي بكر ـ رضي الله عنه ـ يصلّي، يخفض من صوته، ومرّ بعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وهو يصلّي رافعاً صوته، فلما اجتمعا عند النّبيّ ﷺ قال: «يا أبا بكر مررت بك وأنت تصلّي تخفض من صوتك قال: قد أسمعتُ من ناجيت يا رسول الله، وقال لعمر: مررت بك وأنت تصلّي رافعاً صوتك؟ فقال: يا رسول الله أوقظ الوسنان[2] وأطرد الشيطان، فقال النّبيّ ﷺ: يا أبا بكر ارفع صوتك شيئاً، وقال لعمر: اخفض من صوتك شيئاً»[3].

---

(١) أخرجه مسلم: ٧٨٠.

(٢) الوسنان: أي النائم الذي ليس بمستغرقٍ في نومه. والوسن: أول النوم. «النهاية».

(٣) أخرجه أبو داود والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، وانظر «صفة الصلاة» (ص١٠٨).

٢٠ـ عند تحريك السبابة في الصلاة ـ فقد ثبت أن رسول الله ﷺ كان يحرك إصبعه يدعو بها[١] ويقول: «لهي أشد على الشيطان من الحديد يعني السبابة»[٢]، وسئل الإمام أحمد هل يشير الرجل بإصبعه في الصلاة؟ قال: نعم، شديداً»[٣].

٢١ـ عند الساعات والأحوال والأوضاع المستجابة، وتفصيل ذلك في كتابي الدعاء فليراجع ذلك من أراد التوسع.

من الثمرات الحاصلة من الإخلاص لله ـ تعالى ـ

١ـ نصر الأمّة: لقوله ﷺ: «إنما ينصر الله هذه الأمّة بضعيفها، بدعوتهم، وصلاتهم، وإخلاصهم»[٤].

---

(١) أخرجه أبو داود والنسائي وابن الجارود في «المنتقى» وغيرهم، وهو في «صفة الصلاة» (ص١٥٨).

(٢) أخرجه أحمد والبزار وغيرهما، وانظر «صفة الصلاة» (ص١٥٩).

(٣) ذكره ابن هانىء في «مسائله عن الإمام أحمد»، وهو في «صفة الصلاة» (ص١٥٩).

(٤) أخرجه النسائي وغيره، وهو في «صحيح البخاري»: =

٢ـ نجاتك من عذاب الآخرة ورفع المنزلة في الآخرة، والنصوص في ذلك كثيرة منها:

قوله ـ تعالى ـ في حق طائفة من المخلصين: ﴿**ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً فوقاهم الله شرّ ذلك اليوم ولقاهم نضرةً وسروراً وجزاهم بما صبروا جنّة وحريراً متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً ودانية عليهم ظلالها وذُللت قطوفها تذليلا ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا قواريرا من فضة قدروها تقديراً ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلا عيناً فيها تُسمّى سلسبيلا ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً**﴾[1].

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ:

= (٢٨٩٦) دون ذكر الإخلاص، وصححه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٦).

(١) الإنسان: ٨ ـ ١٩.

«أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثمّ الذين يلونهم على أشد كوكب درّيٍّ في السماء إضاءة: لا يبولون، ولا يتغوطون: ولا يتفلون، ولا يمتخطون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم[1] الأُلُوَّة ـ الألَنْجوج: عود الطيب ـ وأزواجهم الحور العين، على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم، ستون ذراعاً في السماء»[2].

٤ـ الإنقاذ من الضلال في الدنيا، ومن الأمثلة على ذلك قصة يوسف ـ عليه السلام ـ المتقدّمة.

٥ـ زيادة الهدى، قال ـ تعالى ـ: ﴿**إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى**﴾[3].

٦ـ حب أهل السماء المخلص، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال ﷺ: «إذا أحب الله ـ تعالى ـ عبداً نادى

---

(١) مجامرهم: جمع مِجْمَر ومُجمرَ، فالمجمر بكسر الميم: هو الذي يوضع فيه النار للبخور، والمجمر بالضم: هو الذي يُتبخّر به وأُعد له الجمر، وهو المراد في هذا الحديث: أي أن بخورهم بالأُلُوّة وهو العود. «النهاية».

(٢) أخرجه البخاري: ٣٣٢٧، ومسلم: ٢٨٣٤.

(٣) الكهف: ١٣.

جبريل: إن الله ـ تعالى ـ يحب فلاناً فأحبَّه، فيحبّه جبريل فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء، ثمّ يوضع له القَبول في أهل الأرض»[1].

٧ـ وضع القَبول للمخلص في الأرض، للحديث السابق.

٨ـ الصيت الطيب عند الناس، للحديث السابق، ثمّ لقوله ﷺ: «ما من عبد إلا وله صيت في السماء، إذا كان صيته في السماء حسناً وُضع في الأرض حسناً، وإذا كان صيته في السماء سيئاً وُضع في الأرض سيئاً»[2].

٩ـ تفريج كروب الدنيا، ومن الأمثلة على ذلك قصة الثلاث الذين كانوا في الغار.

١٠ ـ طمأنينة القلب والشعور بالسعادة، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**ألا بذكر الله تطمئن القلوب**﴾[3].

١١ـ تزيين الإيمان في النفس، وكُره الفسوق والعصيان،

---

(١) أخرجه البخاري: ٦٠٤٠، ومسلم: ٢٦٣٧.

(٢) أخرجه البزار وغيره، وانظر «الصحيحة» (٢٢٧٥).

(٣) الرعد: ٢٨.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتمّ ولكنّ الله حبّب إليكم الإيمان وزيّنه في قلوبكم وكرّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون﴾[1]. وقد تقدّم معنا كيف كرّه الله ـ تعالى ـ ليوسف ـ عليه السلام ـ الزنا والفسوق والعصيان، وكيف حبّب إليه الإيمان فكان السجن أحبّ إليه من نيله وطره بالحرام.

١٢ـ التوفيق لمصاحبة أهل الإخلاص، وصحبة الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ رسول الله ﷺ، وبعضهم بعضاً، من أوضح الأدلة على ذلك.

١٣ـ تحمل الصعاب في الدنيا مهما اشتدت، ومن ذلك ثباته ﷺ، وثبات الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ والسيرة مليئة بالأمثلة.

١٤ـ حسن الخاتمة، ومن ذلك حديث الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً ثمّ أراد أن يتوب، فبسبب إخلاصه لله ـ تعالى ـ في التوبة، قبض وهو مقبل بقلبه إلى الله ـ تعالى ـ.

---

(١) الحجرات: ٧.

١٥ـ استجابة الدعاء[١]، وقد تقدّم في قصة الغلام المؤمن استجابات كثيرة لأدعيته وكذلك الثلاثة الذين في الغار، وباب هذا واسع.

١٦ـ التنعم في القبر والبُشرى بالسرور، وقد ذكرتُ في معالجة الرياء والاستبراء منه عن عذاب القبر ونعيمه من حديث البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ وكيف يتمثل العمل الصالح في صورة رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، ويقول: أنا عملك الصالح وهو عندما يبشر يقول: أبشر بالذي يسرك[٢].

من الويلات الناتجة من الرياء

١ـ هزيمة الأمة، وقد ذكرت حديث رسول الله ﷺ: «إنما ينصر الله هذه الأمّة بضعيفها؛ بدعوتهم وصلاتهم، وإخلاصهم». فإن لم يكن الإخلاص فالهزيمة والدمار.

٢ـ عذاب الآخرة: قال ـ تعالى ـ: ﴿**فويل للمصلّين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤون ويمنعون**

---

(١) راجع أدعية مستجابة في كتابي «الدعاء».

(٢) راجع كتابي «القبر عذابه ونعيمه».

الماعون﴾[1].

وقد تقدّم حديث أبي هريرة الطويل في الثلاثة المعذّبين: العالم والمنفق والذي استشهد، وأنّهم يُسحَبون في النار على وجوههم بسبب الرياء.

٣ـ زيادة الضلال في الدنيا: عن جابر بن سمرة قال: «شكا أهل الكوفة سعداً إلى عمر ـ رضي الله عنه ـ فعزله، واستعمل عليهم عمّاراً، فشكوا حتى ذكروا أنّه لا يُحسن يُصلّي، فأرسل إليه فقال: يا أبا إسحاق! إن هؤلاء يزعمون أنّك لا تُحسن تُصلّي.

قال أبو إسحاق: أمّا أنا والله فإني كنت أُصلّي بهم صلاة رسول الله ﷺ ما أخرِمُ[2] عنها، أُصلّي صلاة العشاء فأركد[3] في الأوليين وأُخِفُّ في الأُخريَين. قال: ذاك الظنُّ بك يا أبا إسحاق. فأرسل معه رجلاً ـ أو رجالاً ـ إلى الكوفة، فسأل عنه أهل الكوفة، ولم يدَعْ مسجداً إلا سأل عنه،

---

(١) الماعون: ٤ ـ ٦.

(٢) أي: لا أنقص منها.

(٣) أي: أطوّلهما وأُديمهما وأمدّهما. «شرح النووي».

ويُثنون معروفاً، حتى دخل مسجداً لبني عبسٍ، فقام رجلٌ منهم يُقال له أسامة بن قتادة يُكْنى أبا سعدة قال: أمّا إذ نشدتنا[1] فإنّ سعداً كان لا يسير بالسريّة[2]، ولا يقسم بالسويّة، ولا يعدل في القضية.

قال سعد: أما والله لأدعون بثلاث: اللهم إنْ كان عبدك هذا كاذباً قام رياءً وسُمعة فأطِل عمره، وأطل فقره، وعرِّضه بالفتن.

وكان بعد إذا سُئل يقول: شيخ كبير مفتون، أصابتني دعوة سعد قال عبد الملك: فأنا رأيته بعد قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وإنه ليتعرض للجواري في الطرق يغمزهن»[3].

٤ـ بغض أهل السماء للمرائي: عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ـ تعالى ـ إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال: إني أحبّ فلاناً فأحبّه، فيحبه

---

(١) طلبت منّا القول.

(٢) القطعة من الجيش.

(٣) أخرجه البخاري: ٧٥٥، ومسلم: ٤٥٣.

جبريل، ثمّ ينادي في السماء فيقول: إنّ الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبّه أهل السماء.

قال: ثمّ يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول: إني أبغض فلاناً فأبغضه، قال: فيبغضه جبريل ثمّ ينادي في أهل السماء: إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه قال: فيبغضونه ثمّ توضع له البغضاء في الأرض»[1].

٥ـ بغض أهل الأرض له: للحديث السابق.

٦ـ قلق القلب، والشعور بالشقاء، والعذاب في القبر:

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى**﴾[2].

وفي الحديث: «... ثمّ يضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، فتلك المعيشة الضنكة التي قال الله: ﴿**فإنّ له**

---

(١) أخرجه البخاري: ٦٠٤٠، ومسلم: ٢٦٣٧ واللفظ له، وتقدّم بعضه غير بعيد.

(٢) طه: ١٢٤.

معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾»[1].

٧ـ التهديد بسوء الخاتمة، لقوله ـ سبحانه ـ: ﴿ **فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم** ﴾[2].

٨ـ فضيحة المرائي على رؤوس الخلائق: عن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ قال: «ما من عبد يقوم في الدنيا مقام سمعة ورياء، إلا سمّع الله به على رؤوس الخلائق يوم القيامة»[3].

ما يُتوهم أنه إخلاص وليس كذلك

١ـ قد يمتزج بالإخلاص شيء من حظوظ النفس، كالذي يعلم ويشتغل بالتدريس ليفرح بلذة الكلام، أو يغزو

---

(١) والحديث بتمامه أخرجه الطبراني في «الأوسط» وابن حبان في «صحيحه» واللفظ له، وحسّنه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٥٦١).

(٢) النور: ٦٣.

(٣) أخرجه الطبراني، وصححه شيخنا ـ رحمه الله ـ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨).

ليمارس الحرب ويتعلم أسبابها، فهذا ليس من تمام الإخلاص لله ـ تعالى ـ[1].

٢ـ وربما كره العبد الرياء، ولكنه عندما يتذكر أعماله ويُثنى عليه، لا يقابل ذلك بالكراهة، بل يشعر بالسرور إن ذلك روح عنه شيئاً من عناء العبادة، فهذا نوع دقيق من أنواع الشرك الخفي.

٣ـ وقد يقع المرء بالرياء لا بإظهاره بالنطق تعريضاً أو تصريحاً؛ ولكن بالشمائل، كإظهار النحول، والصفار وخفض الصوت، وآثار الدموع وغلبة النعاس الدالة على طول التهجد.

٤ـ وقد يختفي المرء بحيث لا يريد الاطلاع عليه، ولكنه إذا رأى الناس أحب أن يبدؤوه بالسلام، وأن يقابلوه بالبشاشة والتوقير، وينشطوا في قضاء حوائجه ويسامحوه في المعاملة، ويوسعوا له في المجلس، فإنْ قصَّر في ذلك مقصِّر، ثقل ذلك على قلبه كأن نفسه تتقاضى الاحترام على

---

(١) النقاط الخمس الأولى من كتاب «مختصر منهاج القاصدين» بحذف وتصرّف يسيرين.

الطاعة التي أخفاها.

٥ـ قد يعتاد العبد التهجد كل ليلة ويثقل عليه، فإذا نزل عنده ضيف نشط له وسهل عليه[١].

٦ـ إعجاب المرء بأعماله ورؤية الإخلاص الشديد فيها:

قال ﷺ: «لو لم تكونوا تذنبون، خشيت عليكم ما هو أكثر من ذلك العجب»[٢]، وسيمر معنا ذلك القول الجميل: (من شاهد في إخلاصه الإخلاص فقد احتاج إخلاصه إلى الإخلاص).

٧ـ ربما تحصل رغبة في استجابة دعوة الداعي إلى الطعام، لمعرفته أن الطعام كما هو متعارف عليه في هذه الدعوات سيكون طيباً وأفضل من طعام بيته في ذلك الوقت، فيدفعه حب الطعام، ولا يستحضر طاعة الله ـ تعالى ـ في إجابة الداعي.

---

(١) هذا مع تذكيرنا أنّ هناك نوعاً من الخلق، إنما ينشطون لما جعل الله لجو الجماعة من تأثير إيماني، وطرد الكسل والعجز وهوى النفس.

(٢) أخرجه البزار وغيره، وانظر «الصحيحة» (٦٥٨).

٨ـ وربما تحصل رغبة في زيارة بعض إخوانه، ممن يحبهم حباً شديداً في الله ـ تعالى ـ ولكن في نفسه شهوة خفية من نية الزيارة؛ أن يستمتع على أصناف الشراب والطعام والحلوى التي تقدّم له.

أحاديث في الإخلاص والتحذير من الرياء من «صحيح الترغيب والترهيب»

١ـ عن أبي سعيد الخدري عن النّبيّ ﷺ أنه قال في حَجَّة الوداع: «نَضَّرَ[١] الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها، فرُبّ حامل فقهٍ ليس بفقيه، ثلاث لا يغلّ[٢] عليهن قلب امرىء مؤمن: إخلاص العمل لله، والمناصحة لأئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإنّ دعاءهم يحيط من ورائهم»[٣].

---

(١) جاء في «النهاية»: نضره وأنضره: أي نعمه ويروى بالتخفيف والتشديد من النضارة وهو في الأصل حُسن الوجه والبريق، وإنما أراد حسن خلقه وقدره.

(٢) هو من الإغلال: الخيانة في كل شيء، يروى يغل بفتح الياء من الغل وهو الحقد والشحناء، أي: لا يدخله حقد يزيله عن الحق.

(٣) أخرجه البزار، بإسناد حسن.

٢ـ عن مصعب بن سعد عن أبيه ـ رضي الله عنه ـ أنه ظن أن له فضلاً على من دونه[١] من أصحاب رسول الله ﷺ، فقال النّبيّ ﷺ: «إنما ينصر الله هذه الأمّة بضعيفها، بدعوتهم، وصلاتهم وإخلاصهم»[٢].

٣ـ عن أبي الدرداء عن النّبيّ ﷺ قال: «الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ما ابتغي به وجه الله»[٣].

٤ـ عن أبي بن كعب قال: قال ﷺ: «بشِّر هذه الأمّة بالسناء والدين والرفعة، والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا، لم يكن له في الآخرة من نصيب»[٤].

٥ـ عن عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سمَّع الناس بعمله، سمَّع الله به

---

(١) أي: في المغنم.

(٢) أخرجه النسائي وغيره، وهو في «صحيح البخاري» دون ذكر الإخلاص، وتقدّم.

(٣) أخرجه الطبراني، بإسنادٍ لا بأس به..

(٤) أخرجه أحمد وابن حبان في «صحيحه» وغيرهما.

مسامع خلقه، وصغّره، وحقره»[1].

٦ـ عن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبدٍ يقوم في الدنيا مقام سمعة ورياء، إلا سمَّع الله به على رؤوس الخلائق يوم القيامة»[2].

٧ـ عن ربيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه عن جده، قال: «خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر المسيح الدجال، فقال: ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ فقلنا: بلى يا رسول الله! فقال: الشرك الخفي، أن يقوم الرجل فيصلّي؟ فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل»[3].

٨ـ عن محمود بن لبيد قال: خرج رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس! إياكم وشرك السرائر قالوا: يا رسول الله! وما شرك السرائر؟ قال: يقوم الرجل فيصلّي، فيُزيّن صلاته

---

(١) أخرجه أحمد والطبراني في «المعجم الكبير» بأسانيد أحدها صحيح.

(٢) أخرجه الطبراني بإسناد حسن.

(٣) أخرجه ابن ماجه والبيهقي.

جاهداً لما يرى من نظر الناس إليه، فذلك شرك السرائر»[1].

٩- وعن محمود بن لبيد أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء، يقول الله - عزّ وجلّ - إذا جزى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا؛ فانظروا هل تجدون عندهم جزاء»[2].

١٠- وقال ﷺ: «إذا جمَع الله الأولين والآخرين ليوم القيامة، ليوم لا ريب فيه نادى مناد: من كان أشرك في عمله لله أحداً فليطلب ثوابه من عنده، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك»[3].

١١- عن أبي علي - رجل من بني كاهل - قال: «خطبنا أبو موسى الأشعري فقال: يا أيها الناس! اتقوا هذا الشرك، فإنه أخفى من دبيب النمل، فقام إليه عبدالله بن حزن وقيس

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في «صحيحه».

(٢) أخرجه أحمد بإسناد جيّد، وابن أبي الدنيا وغيرهما.

(٣) أخرجه الترمذي «صحيح سنن الترمذي» (٢٥٢١) وابن ماجه وابن حبان في «صحيحه» والبيهقي.

ابن المضارب فقالا: والله لتخرجن مما قلت، أو لنأتين عمر مأذوناً لنا أو غير مأذون، فقال: بل أخرج مما قلت، خطب رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: يا أيها الناس! اتقوا هذا الشرك، فإنه أخفى من دبيب النمل، فقال له من شاء الله أن يقول: - وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله! قال: قولوا: اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئاً نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه»[1].

أقوال طيبة في الإخلاص[2]

١- إني أحب أن يكون لي في كل شيء نية، حتى في أكلي وشربي ونومي.

٢- المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته.

٣- أخلص النية في أعمالك يكفك القليل من العمل.

---

(١) أخرجه أحمد والطبراني.

(٢) عن «إحياء علوم الدين» للغزالي - رحمه الله تعالى -، ولا بُدّ من التنبيه أنّ له مخالفات عديدة لمنهج السلف الصالح، فلا يُنصح بقراءة كتبه إلا من يميّز بين النافع وغير النافع، وهذا لا يكون إلا في العلماء وطلاب العلم المجدّين.

٤ـ تخليص النيات على العمال أشد عليهم من جميع الأعمال.

٥ـ الإخلاص يميِّز العمل من العيوب؛ كتمييز اللبن من الفرث والدم.

٦ـ مراد الله من عمل الخلائق الإخلاص.

٧ـ من شاهد في إخلاصه الإخلاص. فقد احتاج إخلاصه إلى إخلاص.

من الأقوال[1] التي رويت[2] عن السلف والصالحين في النية والإخلاص والتحذير من الرياء

١ـ يروى عن الثوري أنه قال: كانوا يكرهون الشهرة من الثياب الجيدة والثياب الرديئة إذ الأبصار تمتد إليهما جميعاً.

٢ـ روى ابن الجوزي عن الحسن أنه قال: كنت مع ابن

---

(١) من كتاب «الزهد» لابن المبارك.

(٢) صدرت بـ(رويت) لعدم علمي بصحتها وإنما يستطيع المسلم الأخذ بما يُروى عن السلف إن كان القول موافقاً للكتاب والسنة.

المبارك فأتينا على سقاية والناس يشربون منها، فدنا منها ليشرب ولم يعرفه الناس، فزحموه ودفعوه، فلما خرج قال لي: ما العيش إلا هكذا، يعني حيث لم نعرف ولم نوقر.

٣ـ روي عن نعيم بن حماد أنه قال: كان عبدالله بن المبارك يكثر الجلوس في بيته فقيل له ألا تستوحش؟ فقال: كيف استوحش وأنا مع النّبيّ ﷺ.

٤ـ روي عن عبدة بن سليمان أنه قال: كنّا في سرية مع عبدالله بن المبارك في بلاد الروم، فصادفنا العدو، فلما التقى الصفان خرج رجل من العدو فدعا البراز فخرج إليه رجل فطارده ساعة فطعنه فقتله، ثمّ آخر فقتله ثمّ آخر فقتله، ثمّ دعا إلى البراز فخرج إليه رجل فطارده ساعة فطعنه فقتله، فازدحم عليه الناس، وكنت فيمن ازدحم عليه، فإذا هو يلثم وجهه بكمه فأخذت بطرف كمه فمددته؛ فإذا هو عبدالله بن المبارك، فقال: وأنت يا أبا عمرو ممن يشنّع علينا؟

٥ـ روي عن جعفر بن حيان يقول: ملاك هذه الأعمال النيات، فإن الرجل يبلغ بنيته ما لا يبلغ بعمله.

٦ـ كان أحد الحكماء يقول: إذا كان المرء يحدث في

المجلس فأعجبه الحديث فليسكت، وإذا كان ساكتاً فأعجبه السكوت فليحدِّث.

٧- روي عن مطرف بن عبدالله الشخير أنه قال: لأن أبيت نائماً وأصبح نادماً؛ أحب إلي من أن أبيت قائماً فأصبح معجَباً.

٨- روي عن النعمان بن قيس أنه قال: ما رأيت عبيدة - رحمه الله - متطوعاً في مسجد الحي.

٩- روي عن عبدالله بن المبارك بن فضالة عن الحسن أنه قال: إن كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به الناس. وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس. وإن كان الرجل ليصلّي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزوار. وما يشعرون به. ولقد أدركت أقواماً ما كان على الأرض من عمل يقدرون أن يعملوه في السر فيكون علانية أبداً. لقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت، إن كان إلا همساً بينهم وبين ربهم. وذلك أن الله - تعالى - يقول: ﴿ **ادعوا ربكم تضرعاً وخفية** ﴾.

١٠- روي عن جعفر بن حيان عن الحسن أنه قال: لا يزال

العبد بخير إذا قال: قال لله، وإذا عمل، عمل لله.

١١- روي عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال: إن الله لا يقبل من مسمع ولا مراءٍ ولا لاعب، ولا داع، إلا داعياً دعاءً ثبتاً من قلبه.

انتهيت من تصحيحه وإعادة النظر فيه لإعادة طبعه بفضل الله - سبحانه - في عمّان - ضحى يوم الثلاثاء ٢٤ صفر ١٤٢٣ هـ.

وكتب:

حسين بن عودة العوايشة

فہرس

الفهرس

المقدّمة ٥

ماذا يُشترط للعمل حتى يُقبل؟ ٩

الأمر بالإخلاص والتحذير من الرياء والشرك ١٠

تحذير من الشيطان وبيان مكائده ١٣

التوسل بالإخلاص لله في الأعمال ١٧

نجاة يوسف بسبب الإخلاص ٢٠

قصة الغلام المؤمن ٢١

قصة إبراهيم وزوجه عند البيت ٢٧

من الإخلاص أن تعمل الصالحات مع خوف عذاب الآخرة ٣١

لماذا تستجاب دعوة المظلوم والمضطر وما معنى فرّغ قلبه لله ٣٢

في مصاحبة أهل الإخلاص والانتفاع بإخلاصهم .. ٣٩
من أنواع الرياء ٤١
ما يتوهم أنه رياء وشرك وليس كذلك ٤٢
فضائل الإخلاص في الأعمال ٤٥
في علاج الرياء والاستبراء منه ٦٧
فيما ينفر منه الشيطان ٩٧
من الثمرات الحاصلة من الإخلاص لله ـ تعالى ـ ١٠٧
من الويلات الناتجة من الرياء ١١٢
ما يُتوهم أنه إخلاص وليس كذلك ١١٦
أحاديث في الإخلاص والتحذير من الرياء من «صحيح الترغيب والترهيب» ١١٩
أقوال طيبة في الإخلاص ١٢٣
من الأقوال التي رويت عن السلف والصالحين في النية والإخلاص والتحذير من الرياء ١٢٤
الفهرس ١٢٨